

حصاد اليوم



أبو أوس إبراهيم الشمسان

١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م



حصاد اليوم

أبو أوس إبراهيم الشمسان

الأستاذ في قسم اللغة العربية

كلية الأدب - جامعة الملك سعود

١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م

ح نادي القصيم الأدبي، ١٤٢٨هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الشمسان، أبو أوس إبراهيم

حصاد اليوم./ أبو أوس إبراهيم الشمسان.- بريدة، ١٤٢٨هـ

١٤٤ ص؛ ١٧×٢٤ سم

ردمك: ٣-٤٥-٦١٩-٩٩٦٠-٩٧٨

١- المقالات العربية أ- العنوان

ديوي ٠٨١ ١٤٢٨/٦٥٥٩

رقم الإيداع: ١٤٢٨/٦٥٥٩

ردمك: ٣-٤٥-٦١٩-٩٩٦٠-٩٧٨

الطبعة الأولى

١٤٢٨هـ

المحتويات

إهداء

وفاءً لمن جمعتني بها الأيام صدفة

ساقها الله إلي فصارت أمامي

مضت الأعوام سراعًا كأحلام نيام

يا فؤادي تجمّل إن درب العمر قاس

هذه الرحلة تمضي ودليل الركب يحدو

مُقَدِّمَة

قد يرى الكاتب أن بعض ما يكتبه في الصحف اليومية السيارة جدير بأن يجمع ويضم في كتاب واحد لتكون للقارئ فرصة معاودة قراءته في حيز واحد إن كان قرأه من قبل مفرقًا في الصحيفة أو أن يكون له أن يقرأه ابتداء في صورته الجديدة المرتبة ترتيبًا قد يعينه على فهم مقاصد كاتبه ومن شأن هذا آخر الأمر أن يسهل الرجوع إليه والاقتباس منه والإحالة إليه.

وهذه مجموعة مختارة من مقالات كنت كتبتها في زاوية سميتها (مساحة) لصحيفة **اليوم** في الأعوام (١٤٢١هـ، ١٤٢٢هـ، ١٤٢٣هـ)، وقد رأيت أن أعيد نشرها مرتبة حسب مجالاتها الموضوعية وكانت قد نشرت في الصحيفة مفرقة، ثم إني ربما ضممت بعض المقالات لتؤلف مقالا واحدًا. وضممت إلى هذه المجموعة المختارة بعض مقالات أخر كتبت في صحف أو مجلات أخر لما رأيته من صلة موضوعية بينها. وقد حرصت جهد الطاقة على بيان موضع نشر المقالة من الصحيفة في الحاشية، ولكن تعذر توثيق بعض المقالات وهي قليلة.

وزعت المقالات حسب موضوعاتها في مجالات مختلفة أولها مجال (تربية وتعليم) وضم المقالات التي تعالج بعض قضايا تعليم العربية وما ناله من ضعف والرأي في معالجة ذلك وتناولت بعض ما يتصل بذلك من الشؤون التربوية. وأما المجال الثاني فهو مجال(لغة وتراث) وعالجت المقالات مجموعة من القضايا المتصلة باللغة والتراث من حيث هو المعين الذي نمتح منه في تعلمنا ونفزع إليه في كثير

من الأحيان لنهتدي به في تصريف أمور معاشنا، وأما المجال الثالث فهو مـــرتبط بنتائج ما حصلناه من تعلم تراثي وغير تراثي وما اكتسبناه من تجارب الحياة وهو مجال (قراءة عابرة) وهي قراءة لبعض الكتب وتعريف القرئ بها تعريفًا مـــوجزًا اقتضته المساحة المخصصة من الصحيفة، ولئن كان التعلـــيم والتربيـــة واللغـــة والتراث والإبداع التأليفي هو نشاط اجتماعي في المقام الأول فإن لهذا المجتمع من القضايا ما يثير المتابع ويدعوه لمعالجته ومن هنا يأتي المجال الرابع وهو مجال (مـــن قضايا المجتمع) وهي مقالات تعبر عن تفاعل الكاتب مع القـــضايا الاجتماعيـــة وإبداء الرأي فيها حسب ما يهديه اجتهاده.

وإني لأرجو أن يلقى هذا الكتاب قبولا من القارئ المثقـــف والمتخـــصص وعسى أن يكون فيه ما هو خير.

حرر في الإثنين، ٤ ذو القعدة، ١٤٢٨هـ

المؤلف

تربية وتعليم

المَهمة التربوية*

تشمل المهمة التربوية في مرحلة التعليم الأولي السابق لتعلم القراءة والكتابة أن يتعلم الطالب أصول الدين وكيفية أداء الواجبات الدينية، وتعليمه آداب السلوك العامة المعتمدة على تعاليم الدين وأعراف المجتمع . وهي مهمة عملية تدرك بالتمرين والتدريب في مراحل التعليم الأولى، وليس من أغراضها أن يستظهر الطالب شيئًا من مفرداتها، ولا أن يعنّي نفسه بحفظ أدلتها. وعلى سبيل المثال نقول إن تعليم الصلاة بأركانها وواجباتها يمكن أن يكون في مسجد المدرسة بشكل جماعي دون حاجة إلى حفظ مفردات تلك الأركان والواجبات؛ إذ الغرض أداء الصلاة أداءً صحيحًا. وكذلك يمكن أن يزود الطالب في هذه المرحلة بالمفاهيم العقدية الأولية بلغة سهلة ولكن مشافهة دون إلزامه بحفظ الأدلة على ذلك؛ لأن حفظ الأدلة غرض من يريد الاحتجاج والجدل أما الاعتقاد فيكفيه العلم بالشيء. ومن المناسب تزويد المعلم بكتاب إرشادي في المسائل التربوية، أما الطالب فلا حاجة إلى أن يكون له كتاب في ذلك. وأما قياس هذه

---

* صحيفة اليوم ٢٦ محرم ١٤٢٢هـ عدد١٠١٧١.

المهمات التربوية فيكون بملاحظة أداء الطلاب فينظر كيف يحسنون الوضوء وكيف يحسنون أداء الصلاة، ويسألون عن الأصول الثلاثة للتأكد من حسن معرفتهم لها وتفطنهم لمعناها وإحساسهم أهميتها. كل ذلك شفاهًا، ويكفي أن يشهد الأستاذ للطالب بحسن الأداء والتوفيـــق في تعلم تلك الأصول، ويكفي الاجتياز في المسائل التربوية، إذ ليس لها درجات ترصد.

الكتابة العربية

الخط العربي*

إحساس غامض، لا تجد له تفسيرا، يأخذ بنفسك وأنت تتأمل لوحة إبداعية من الخط العربي، هو إحساسك بسماع معزوفة موسيقية تنساب نغماتها إلى مسامعك فتطرب؛ ولكنك آخر الأمر لا تجد ما تفسر به طربك غير أن تصفها وصفًا ليس بأقل منها غموضًا. وهذا شأن الفنون فتنة غامضة ليس يفسدها كمحاولة شرح أسرار جمالها وكشف لغز سحرها. قد لا يختلف اثنان أمام لوحة من لوحات الخط العربي في جمال تلك اللوحة إن تكن قد وفت بشروط هندسة الحرف. إن للخط العربي من المرونة والطواعية ما أتاح للخطاطة مجالا للإبداع الشكلي، فتعددت إبداعاتهم في الجمع بين جمال الشكل وشرف المضمون بما يختارونه من آيات كريمات أو من حكم وأمثال سائرة. وترى البراعة باستغلال الإمكانات الخطية إذ يدرس الخطاط النص – قبل أن يعمل قلمه فيما يخط– فيرسم في ذهنه صورة للشكل النهائي الذي ستنتهي إليه اللوحة، فقد تأتي ألفات المكتوب متعانقة واللامات متآلفة وتجد بعض الحروف آخذ بعضها بحجز بعض. وليس يختلف الخط العربي عن جملة فنون الشرق إذ

* صحيفة اليوم ١٤ ذو الحجة ١٤٢١هـ عدد١٠١٢٩.

هي فنون ولدت في رحم الطبيعة فأخـذت مـن نباتها وحيوانها صورتها وكأنها تروم تخليدها لما وجد الإنسان شحاحة تلك الطبيعة وقسوة ظروفها التي تعصف بكائناتها حينًا بعد حين، نجـد صـناع السجاد يطرزونها بحديقة من نباتات تتـشاجر أغـصانها وتتـداخل فروعها ملئت بالأزهار والأوراق والبراعم. وربما رأيـت صـورة لغزال أو طائر. وتجد ذلك في العمارة بأقواسها وقبابها وما يبث فيها من ألوان النقوش البارزة أو الغائرة على جدرانها أو أسقفها، فكلها موشاة بأشكال نباتية أو هندسية أخذت أشكالها من هندسة الزهـور. وإنك لتجد من الخط ما ورقت حروفه حتى اسـتحال كـشجرة ذات أغصان وأوراق، وأوضح أُمثلة هذا الصنيع ما يسمى الخط الكـوفي المورق. يتأمل الخطاط نص ما يريد خطه فيرى كيف يـستفيد مـن الألفات واللامات الصاعدة والأحرف الهابطة ومـن الحـروف ذات الكؤوس، ويتفنن في كيفية مـلء فـراغ اللوحـة وتوزيـع الـنقط والحركات حتى يستوي له المنظور استواءً يهب العين جمالا وتجـد النفس فيه متعة. استطاع الفنان العربي وغير العربي ممن اسـتهواه رسم الخط العربي أن يبدع لوحات جمالية أخاذة. والإمكانات متاحة لكل مبدع. وكل عبارة توحي بجمالياتها لكل ذهن خلاق.

هذا هو الخط العربي فنًا جميلا رائعًا. ولكن هل الخط العربي

وافٍ بمقتضى الأداء اللغوي؟ هذا سؤال نحاول الإجابة عنه.

رسم الكتابة العربية*

لم يبتدع العرب لأنفسم رسمًا يقيد لغتهم بل أخذوا الكتابة عن بعض الأقوام الذين تعاملوا معهم في تجارتهم وهم الأنباط. ولم يكونوا بحاجة شديدة إلى الكتابة إذ كان اعتمادهم في تناقل فنونهم القولية على المشافهة، فكان الشعراء ذوي رواة ينشرون أشعارهم في الناس، وكانت الأمثال والحكم والخطب والقصص تتناقلها الأجيال شفاها؛ ولذلك كان كتاب الوحي قلة. ولمّا استحرَّ القتل في حروب الردة بحفاظ القرآن من الصحابة فزع عمر بن الخطاب إلى أبي بكر رضي الله عنهما ليأذن بتدوين القرآن، فتردد أبو بكر حتى ألح عليه عمر وانشرح صدره لذلك. وما كان تردده إلا لأن أمر التدوين غير مألوف كل الإلف في حياتهم. والرسول نفسه لم يشجع الصحابة على تدوين الحديث خوفًا من خلطه بالقرآن؛ ولذلك تأخر تدوين الحديث عن عهد الصحابة، فجاء تدوينه نقلا للمعنى في بعض الأحيان. وكانت الكتابة في أول أمرها ساذجة لا تمثل المنطوق تمثيلا وافيًا؛ فقد كانت عاطلة من النقط والحركات. ولم يكن هذا في أول أمر التدوين بضائر؛ إذ ما زال الاعتماد في جملته على المشافهة. وما

---

* صحيفة اليوم ٢٤ ذو الحجة ١٤٢١هـ عدد١٠١٣٩.

الخط إلا رموز تذكّر بما ندّ عن الخاطر وما شرد عن الذهن، ولكن الفتوح الإسلامية أدخلت في الإسلام من الأمم من ليس لهم من المشافهة حظ الأوائل واضطروا إلى النظر في المصاحف ليقرأوا؛ ولكن الرسم لم يكن في بعض الأحيان معينا على صحة التلاوة، فالتوت ألسنتهم بالمقروء التواءً أفزع الغيورين على القرآن، فكان أن هب أبو الأسود الدؤلي إلى نقط المصحف نقط إعراب أي ما يمثل الحركات فجعل بالمداد الأحمر نقطة فوق الحرف لتدل على الفتحة، ونقطة تحت الحرف لتدل على الكسرة ونقطة أمام الحرف لتدل على الضمة، وإذا كان الحرف منونًا جعل من النقطة نقطتين، ثم هبّ من بعد ذلك نصر بن عاصم إلى نقط المصحف نقط إعجام، ويقصد بالإعجام إزالة ما في الحروف من عجمة بسبب تشابه أشكالها. هذا الصنيع من الإمامين دليل قاطع على أن هذا الرسم لم يكن وافيًا كل الوفاء بمقتضى هذه اللغة الشريفة. ورأينا بعد ذلك ما فعله الخليل بن أحمد من تطوير لرموز الحركات وإضافة رمز للهمزة لم يكن موجودًا من قبل وهي الرموز التي ما زالت مستخدمة إلى يومنا هذا. ولئن حوفظ على الحركات في كتابة المصاحف لجلال قدرها ولخطر شأنها؛ فإن الكتبة لا طاقة لهم برسم خربشات فوق حروف متصلة؛ ولذلك عادوا إلى الكتابة بلا حركات، واكتفوا بمهاراتهم اللغوية، وبما

يعينهم عليه السياق من أمر القراءة الصحيحة، ولذلك كثر التصحيف والتحريف حتى اقتضى الأمر تأليف كتب في شأنها، وأجاء المعجميين إلى أن يصفوا الكلمات المهمة بذكر عدد نقاطها وحركاتها. ولشدة الإحساس بقلة وفاء الرسم بمقتضى اللغة كان تلقي العلم في المقام الأول تلقيًا شفاهيًّا تشهد له الإجازة. وكانت الرواية في النقل فوق الوجادة، ولم يكن يحمد المتعلم المتلقي من الصحف؛ إذ يوصم بأنه صحفي. والعلم ما وعته الصدور لا ما حوته السطور. ثم جاءت الطباعة في عصرنا هذا لتعصف بالكتابة ولتباعد بين الكتابة ورسم الحركات، وحاولت المجامع اللغوية أن ترأب هذا الصدع وأن تحل مشكلة رسم الحركات، وباءت المحاولات بالفشل، وصرنا نسمع من الأخطاء اللغوية ما يردّ أمره إلى قصور الكتابة مع ضعف مهارات القراء بلا جدال. ونحن معنيون بشأن الكتابة وما وهبته من أخطاء تقتحم السمع. ولسوف نعرض لطائفة من هذه الأخطاء إن شاء الله.

أثر الكتابة في الخطأ*

دللت في السابق على ضعف الرسم الكتابي العربي عن الوفاء بمقتضى اللغة؛ وبقي أن نضرب الأمثلة للأخطاء التي يقع فيها المستخدمون قراءة وتحدثًا. ومن المشهور أن أصحاب اللغات المختلفة يقرأون ليفهموا وفي العربية يفهمون ليقرأوا. ومن الأسباب التي تعلل بها هذه الظاهرة كون الكلمات عاطلة من الحركات فهي بهذا حمّالة أوجه؛ حتى لا يحدد الوجه الصحيح إلا بالفهم أولا. وإن من أمثلة هذا ما سمعته من أحد المذيعين وهو يقرأ في برنامج طبيّ فقرأ: فإذا ارتفعت الحرارة فهذه حالة مُرْضِيَة(قرأ مرضية بضم الميم وسكون الراء كأن اللفظ من الرضا) والصواب مَرَضِيَّة بفتح الميم والراء لأنه من المرض، ومثله من قرأت في نشرة الأخبار عن بيع بعض الأسلحة فذكرت صواريخ جُوجُو (بضم الميم مع مدّ الواو) والصواب أنه بفتح الجيم وتشديد الواو:جَوّ/جَوّ. وجاء في نشرة أخبار أخرى عن أحد الموفدين الدبلوماسيين ما نصه: وَوَجْهٌ بَرْدٌ فاتر (قرأ وُوجِهَ على أن الواو واو عطف وما بعدها اسم وضم الجيم منه، وقرأ بِرَدٍّ كأنها ضد حرّ) والصواب أن الكلمة الأولى فعل مبني للمجهول من الفعل واجه، والثانية مؤلفة من حرف الجرّ الباء

* صحيفة اليوم ٢ محرم ١٤٢٢هـ عدد١٠١٤٧.

والمصدر (ردّ). والعامة تستخدم العدد ١٠٠ وتنطقه نطقًا فصيحًا (ميه)؛ ولكنهم يرونه مكتوبًا على هذا النحو (مائة) فيظهرون الألف في نطقهم ظنًّا منهم أنهم بذلك يحسنون صنعًا، والصواب أنها مهملة نطقًا. وهذه الكتابة تراثية وقد كان الغرض منها التفريق بين كلمة (منه) وكلمة (مئة) وكان ذلك قبل نقط الإعجام ووضع رمز الهمزة. واستمر رسم الألف مع انقضاء الحاجة إليها. وقد أوصى مجمع اللغة العربية بكتابة (مئة) بدون ألف وكان بذلك موفقًا. وعلى نحو ما فعلوا بمئة فعلوا بالاسمين (عُمَر) بضم العين وفتح الميم، و(عَمْرو) بفتح العين وتسكين الميم. ونشأ الخطأ من وجود هذه الواو الفارقة؛ إذ توهم الناس أن الواو تنطق. وليس الأمر كذلك. وعزز هذا الخطأ كتابة الاسم باللغة الإنجليزية؛ إذ ختم بما يقابل الواو. وسمعت غير مرّة من أبناء عائلة العمرو من ينطق الاسم بالواو، فإذا استنكرت ذلك منه اعتل بنطق الناس. وهم* كذلك يخطئون حين يتكلفون مد الواو من جمع المذكر السالم المضاف مثل (مسلمون) حين يضاف إلى اسم محلى بأل التعريف مثل (الهند) فيقال(مسلمو الهند). فأنت تسمع بعض المذيعين يمد الواو ويقطع من أجل ذلك ما يجب أن يوصل فيحول بين المضاف والمضاف إليه بسكتة (مسلمو/ ألهند)

* من هنا نشر في صحيفة اليوم ٨ محرم ١٤٢٢هـ عدد١٠١٥٣.

ولذلك يظهر الهمزة من الهند والصواب حذفها وهـو يمـد الـواو والصواب التقصير والتركيب لا يختلف من حيث اللفظ عن (مـسلم الهند). ومما كثر الخطأ فيه الفعل المضارع من المزيـد بـالهمزة، فالواجب أن يضم حرف المضارعة من هذا الفعل ولكن الناس تفتح، والسبب أن الفعل بعد سقوط الهمزة منه شابه الفعل المجـرد منهـا، مثال ذلك أن الفعل (يلقي) من الإلقاء بضم أول الفعل ينطق بـالفتح خطأ كأنه الفعل يلقى من اللقاء. ومن هذا الخطأ المستمر أنهم يقولون (يسعون) يضمون العين من الفعل المضارع المعتل آخره بألف مثل (يسعى) عند إسناده إلى واو الجماعة. والصواب فتح العين ولا يكون الضم إلا مع أفعال آخرها ياءٌ أو واو مثل: يمشي أو يدعو، تقـول: يمشون ويدعون بضم العين منهما. ومن الأفعال ما يـستخدم مبنيًّـا للمفعول، ولكنهم لغياب الحركات ورسم الياء والألف أحيانًا كاليـاء تراهم ينطقون الفعل كأنه مبني للمعلوم، مـن ذلـك الفعـل (يُعنَـى بالشيء) بضم حرف المضارعة وفـتح النـون فتـراهم يخطئـون فيفتحون حرف المضارعة ويكسرون النون. ومثله الفعل (يُـضطر) بضم الياء. فهم يخطئون بفتح الياء وهم يريدون إسناده إلـى نائـب الفاعل. ومن الخطأ نطق الاسم (ابن) وهو اسم من بين جملة أسماء أول حرف فيها ساكن ولذلك توسل العرب إلى نطقها بهمزة تـسمى

همزة الوصل لأنه يتوصل بها إلى نطقه، ويستغنى عن هذه الهمـــزة في وسط الكلام فلا تنطق، وقد يرسمونها وقد يحذفونها حسب قواعد إملائية مفصلة في كتب الصرف والإملاء، فنراها تحذف متى وقعت بين علمين في سلسلة النسب، ولأن الهمزة حذفت هنـــا راح النـــاس خطأ يحركون الساكن بالكسر وليس الأمر كذلك. وهم يخطئون مرة أخرى بنطق الهمزة في وسط الكلام لأنها مكتوبة مثال ذلك: (قـــال ابن عمر) ينطقون الهمزة فيقولون: (قال/ إبن عمر). هـــذه بعـــض الأمثلة التي أردنا أن نبين بها كيف كان النظام الكتابي المستخدم قـــد أدى بالناس إلى الخطأ في النطق والقراءة. فهل من سبيل إلى تفادي ذلك كله أو بعضه؟ هذا سؤال أرجو أن نحاول الإجابة عنه في لقـــاء قادم.

معالجة نظام الكتابة*

ليست الكتابة إلا تصويرًا ناقصًا للغة يسترشد به القارئ. ومتى تمكن من لغته كان أمر القراءة عليه أيسر، وليس يخلو نظام كتابي من المشكلات على تفاوت في التأثير، ولكن الأمر المشهود أن الكتابة العربية المشكولة من أقرب الكتابات إلى تصويرها، ودليل ذلك أنك تستطيع كتابة أي لفظ وإن لم يكن لك سابق معرفة بطريقة رسمه أو معناه. وقد حاول المجمعيون تيسير الكتابة العربية. ومن البديهي أن تأخذ المحاولات سبيلين: أحدهما تطوير الرسم العربي نفسه، والآخر أن يستبدل به رسم آخر يفي بالغرض. فمن اقتراحاتهم ما ركز على إثبات الحركات[1] في صلب الكتابة، ليقرأها القارئ دون أن يجتهد في نطقها، ويقضي هذا الاقتراح بجعل أحرف العلة بدل الحركات؛ ولكن سوف تختلط حالات العلل المختلفة وستزدحم الكلمة بها. وهو أمر تعافه النفس ويذهب بجمال رسم الكلمة، ويحتاج تعلمه إلى فضل مؤونة، وسيباعد بيننا وبين ما كتب وطبع من تراثنا. وقريب من هذا رسم الحروف مع إدخال الحركات في صلب الكلمة، وعيوبه كالسابق؛ بل فيه إمكان تداخل الكلمات وضياع حدودها، ولا يصلح للكتابة اليدوية. وأما اقتراح إلصاق الحركات في الحروف فلا

---

* صحيفة اليوم ٩ محرم ١٤٢٢هـ عدد١٠١٥٤. و١٠ محرم ١٤٢٢هـ عدد١٠١٥٥.

يحل إشكالا. وأما اقتراح العلايلي بأن يستفاد من تنوع الخطوط فخط النسخ للحرف المفتوح والرقعة للساكن والفارسي والديواني للمكسور فاقتراح يصعب الكتابة به عمليًا، ويذهب بجمال الكلمة المعتمدة على تناسق الخط الواحد، ولم يحل كل المشكلات.

من تلك المحاولات توحيد شكل الحرف؛ ولكنها إن صلحت للآلة فإنها لا تصلح للكتابة اليدوية. ومنها ما اعتمد على تهذيب الحروف بأن تجرد من كؤوسها وأقواسها وأذنابها وقناطرها، وأن توصل الحروف الستة التي لا توصل، وأن يستغنى عن النقط بجعل سن للمنقوط، وإمالة عصا الظاء، وجعل العين المعقودة رمزا للغين. أما الاتجاه المتصف بالجراءة فهو الداعي إلى اتخاذ الأحرف اللاتينية على غرار ما فعلت تركيا. ولهم من الحجج القوية ما يؤيد رأيهم؛ ولكن الأخذ به لم يلق قبولا من المجمعيين، وبينوا فيه من العيوب ما صرف الناس عن العمل به، وهو لن يصلح ما لم يجر عليه من التطوير ما يجعله ملائما للعربية، ولو نجح ذلك فرضًا لاقتضى الأمر جهودًا جبارة وأموالا طائلة لإعادة كتابة التراث العربي، بل كل ما كتب بالعربية خلال القرون الماضية، وهذا أمر دونه خرط القتاد. وصفوة القول إن الالتزام بالرسم العربي أجدى؛ ولكن يجب الجمع بين أمور مختلفات، منها التخلص من الأحرف التي لا تنطق،

وإدخال الأحرف المحذوفة وهي تنطق، ومنها التخفف مــن كثــرة أشكال الهمزة والتزام هيئة الهمزة في نهاية الكلمة دون تأثر بحالــة إعراب أو تثنية أوجمع. ومن الأمور المهمة الالتزام بما يصلح اللفظ من الحركات كالتزام الضمة على مضارع الفعل الرباعي، وأهم من ذلك كله تأسيس المتعلم تأسيسًا لغويًا قويًّا يكفل لصاحبه سلامة النطق والقراءة.

المهارات اللغوية

تأسيس المهارات اللغوية*

ليس يمكن أن نتجنب ما وصفناه من أخطاء مردها إلى النظام الكتابي إلا بفضل معالجة لجوانب من ضعفه مع تعلم المهارات اللغوية تعلمًا يكفل لصاحبه التمكن من تلك المهارات تمكنًا يربي لديه الإحساس بالخطأ فيتجنبه ما أمكنه التجنب. وأشهر المهارات اللغوية التي يحتاجها المتعلم مهارة القراءة ومهارة الحديث ومهارة الفهم ومهارة الكتابة. وليس تحصيل هذه المهارات بالأمر الهين؛ ولذلك لا بد أن تجتمع لها من الأسباب ما تقوم به. ومن هذه الأسباب المعلم المدرب تدريبًا جيدًا على تعليم تلك المهارات أو بعضها، والوسائل التعليمية المناسبة للغرض، والطرائق الصحيحة المؤدية إلى النجاح في التعلم، والوقت الواسع الذي يمكّن المتعلم والمعلم من بلوغ الغاية المنشودة. ولعلنا لو تأملنا حال تعليم تلك المهارات في مدارسنا اليوم لأدركنا إدراكًا جازمًا علة ضعف تحصيلهم تلك المقررات. وترتبط هذه العلة بجملة من العوامل منها المعلم الذي تقع على عاتقه مهمة التعليم، ومنها الوسائل التعليمية التي تشمل الكتاب المقرر ووسائل

---

* صحيفة اليوم ١٥ محرم ١٤٢٢هـ عدد١٠١٦٠.

الإيضاح والأجهزة المساندة التي تختصر كثيرًا من الجهد المبذول. ومنها المنهج السليم الواضح الذي يحقق الهدف المنشود من العملية التعليمية. ومنها الوقت وكيفية إدارته واستثماره بالطريقة المثلى. والنظرة الواقعية إلى إمكانات المعلم والطالب فلا نسرف على أنفسنا إسرافًا يجعلنا كالمنبت الذي لا أرضًا قطع ولا ظهرًا أبقى. ولنا وقفة أخرى حول هذه العوامل التي أشرنا إليها.

عوامل تأسيس المهارات اللغوية*

إن من عوامل تأسيس المهارات المعلم والوسائل التعليمية المختلفة والوقت. أما المعلم الموكل إليه تعليم تلك المهارات في مدارسنا فليس من أحسن من تُوكل إليه تلك الأعمال لنقص في علمه ودربته. أما الوسائل التعليمية فهي لا تتجاوز كتابًا يفتقر إلى الجمع بين جمال الشكل ودقة المضمون، فقد تراه ذا صور ورسوم غير موحية وطباعة غير واضحة وليس يسلم من الأخطاء الطباعية. ونحن في وقت يشهد التعليم ثورة تقنية مساندة من شأنها أن تهيئ من الوسائل ما يعين المعلم على تطوير أدائه. أما طرائق التعليم ففيها شيء من الارتجال والجمود، وقد حان الوقت الذي نعين الطالب على كيفية التعلم الذاتي. وإن أعدى أعداء التعلم الوقت، فلن يفلح المتعلم

* صحيفة اليوم ١٦ محرم ١٤٢٢هـ عدد١٠١٦١.

إن أراد تعلم أشياء كثيرة في وقت يسير، ولست أنسى حكمة كان والدي يرددها دائمًا وهي: من تعلم كل يوم مسألة حفظ العلم في سنة، ومن تعلم كل يوم مسألتين حفظ العلم في سنتين. فالذهن له قدرة من الاستيعاب ويحتاج إلى وقت كاف لذلك. وهذه الكثرة التي لا تجد كفايتها من الوقت هي ما يحدث في مدارسنا. ولنأخذ مثالا على ذلك الصف الأول الابتدائي، فالطالب في هذا الصف مطالب بتعلم أمور مختلفة. فإذا أنت رحت تقسم وقته على كل هذه الأشياء وجدته وقتًا مشتتًا ضيقًا. والذي لا مراء فيه أنّ معركة التعلم الأولى التي تفتح له بوابة المعرفة هي معركة تعلم القراءة. فكيف نفلح في كسب هذه المعركة؟ لا نفلح إلا بفك الاشتباك. فكيف يكون؟

فكّ الاشتباك*

معركة التعلم الأولى التي تفتح بوابة المعرفة هي معركة تعلم القراءة. فكيف نفلح في كسب هذه المعركة؟ لا نفلح إلا بفك الاشتباك. وأقصد بذلك التمييز والفصل بين مَهمتين من المهام التي ينبغي أن يتلقاها الطالب في أول مراحل التعليم. أما إحداهما فهي المهمة العلمية وأما الأخرى فهي المهمة التربوية. وتشمل المهمة العلمية تعلم المهارات والمعارف، أما المهمة التربوية فتشمل تعليم

* صحيفة اليوم ١٩ محرم ١٤٢٢هـ عدد١٠١٦٤.

الطالب أصول الدين وكيفية أداء الواجبات الدينيـــة، وتعليمـــه آداب السلوك العامة المعتمدة على تعاليم الدين وأعراف المجتمع. ولتحقيق أداء تعليميّ يؤتي ثماره علينا أن نفرق بين المهمتـــين مـــن حيـــث تعليمهما ومن حيث قياسهما. فالمهمة التربوية مهمة عمليـــة تـــدرك بالتمرين والتدريب وليس من أغراضها أن يستظهر الطالب شيئًا من مفرداتها، ولا أن يعنّي نفسه بحفظ أدلتها. أما تعلم القراءة والكتابـــة فهي تعلم جملة من المهارات الأساسية التي لابد من تعلمها على مهل والتدرب عليها تدربًا كافيًا. ولابد من قياس هذا التعلم قياسًـــا دقيقًـــا يطمأن فيه إلى حسن التلقي وإتقان المهارة. ولتحقيق أداء أمثل فـــي هذا التعليم يجب أن يكون التدُرب في المدرسة لا خارجها. فالركون إلى جهود الأسرة قد لا يؤدي إلى النتائج المتوخاة. أما القياس فينبغي أن يكون موضوعيًا دقيقًا معتمدًا على التحصيل المعرفـــي وإتقـــان المهارات دون أن توزع الدرجات على جملة من النشاطات المختلفة كالمشاركة وأداء الواجب وما إلى ذلك مما لا يـــدخل فـــي التقيـــيم الصحيح في نظري.

مهارة القراءة*

اللغة أصوات في المقام الأول والأصل في تعلمها المشافهة؛ وهكذا يتعلم الوليد لغة أمه دون معلم إذ قد هيأه الخالق بملكة تعلم أية لغة يسمعها في صغره، أما تعلم القراءة فهو تعلم الكيفية الصحيحة لتحويل الرسم الكتابي إلى أصوات لغوية. وإذا أدركنا هذه الحقيقة إدراكًا واعيًا أمكن لنا ذلك تعليم القراءة تعليمًا جيدًا. والبدء بتعليم القراءة يكون بالبدء بتعليم الأحرف تعليمًا صوتيًّا. ومن هنا نجد التوفيق يجانب بعض المتصدين للتعليم الأولي في الروضات؛ إذ نجدهم يشغلون أنفسهم بتعليم الصغار أسماء الحروف وأشكالها دون أن يعلموهم نطقها نطقًا صحيحًا يعينهم على القراءة الصحيحة. إنّك تجدهم يرسمون الألف بالرمل والصلصال والخيوط ويرددون اسم الحرف كاملا (ألف، باء، تاء)، ولكنهم آخر الأمر يخفقون حين يريدون قراءة كلمة. ويجانب التوفيق ما نجده من تعليم القراءة في كتب وزارة المعارف إذ هي معتمدة على ما يسميه التربويون بالطريقة الكلية وهي تعليم قراءة الجملة كاملة وتحفّظ كلماتها، وعيب هذه الطريقة أن الطالب يتعلم قراءة كلمات بأعيانها تعلمه معرفة صورة بعينها وهو لا يتمكن من قراءة كلمة أخرى لم يحفظها من

* صحيفة اليوم ١٣ جمادى الأولى ١٤٢٢هـ عدد١٠٢٧٦.

قبل. وليس هذا ملائمًا لطبيعة اللغة العربية التي من ميزات رسمها أنك تستطيع كتابة أي كلمة لم تسمعها من قبل وقراءة أي كلمة لم تقرأها من قبل. وما يلائمها ما كان يسمى بالطريقة البغدادية*.

وهذه الطريقة معتمدة على التعليم الصوتي، وهو أنسب مدخل لتعليم القراءة العربية للمبتدئين. أما التعليم الصوتي الذي أشرت إليه فهو تعليم قراءة الحرف متلوًّا بحركة دون التطرق أو التعرض لأسماء الحروف بل تنطق محركة على هذا النحو(بَـ، تَـ، ثَـ). وكان الناس قديمًا يعلمون أبناءهم في الكتّاب أو في المساجد عند المطوّع أو إمام المسجد بطريقة صوتية تسمى الطريقة البغدادية، وهي تعتمد على تعليم الحرف متلوًّا بحركة الفتحة، ثم تعليمه الحرف متلوًّا بالضمة، ثم تعليمه الحرف متلوًّا بالكسرة، وهكذا حتى يتقن الجمع بين نطق الصوت ورسمه. حتى إذا انتقل إلى قراءة الكلمات أمكنه متابعة قراءة الأحرف وفاق حركاتها قراءة سليمة. وعلى هذا النهج كان تأليف كتاب تعليم الكبيرات في الرئاسة العامة لتعليم البنات.وقد وجد هذا الكتاب نجاحًا باهرًا عند التطبيق. فإذا تمكن الطالب من إتقان القراءة إتقانًا أوليًّا بدئ بتعليمه رسم الأحرف ثم رسم الكلمات، كل ذلك على نحو تراكمي متدرج. وعلى هذا النهج

* صحيفة اليوم ٣ صفر ١٤٢٢هـ عدد١٠١٧٨.

كان تأليف كتاب تعليم الكبيرات في الرئاسة العامة لتعليم البنات وقد وجد هذا الكتاب نجاحًا باهرًا عند التطبيق.

مهارة الكتابة

يصل بعض أبنائنا إلى مقاعد الجامعة وهو لا يحسن كتابة اسمه كتابة حسنة، فلست تطالع من كتابته سوى مخربشات لا تكاد تتبين منها شيئًا، ويجد المصحح عنتًا شديدًا وهو يجاهد في حل الطلسمات التي يراها، ومهما يكن خبيرًا بالمخطوطات فإنه يجد صعوبة بالغة في تبين تلك الخطوط العجيبة. وغير مرة طلبت من بعض طلابي الكتابة على اللوح فرأيت العجب في كيفية رسم الحروف رسمًا صحيحًا. ولذلك رأيت أن من المهم أن نزود كتاب تعليم الكبيرات الذي شاركت في تأليفه بكيفية رسم الحروف مستعينين برسم أسهم تبين اتجاه حركة اليد. إنّ من المهّم أن يكون تدريب الطلاب على هندسة الحرف تدريبًا مكثفًا تحت رعاية المعلم مباشرة ولا يوكل أمر الكتابة إلى الواجبات المنزلية. ويجب أن نفرق بين مقرر الكتابة ومقرر الخط العربي الذي في رأيي هو جزء من التربية الفنية؛ أمر تحصيله مرده إلى الموهبة واليد الصناع. أما الكتابة فهي القدر المطلوب من المهارة الملزمة التي تفضي إلى كتابة واضحة وافية بأغراضها. ولتحقيق هذا الغرض لابد أن تزود كتب

تعليم القراءة بنموذج للكتابة اليدوية البسيطة ولا يعتمد على تقليد الطالب للحرف المطبوع فيجد في ذلك من المشقة ما يصرفه عن الإجادة. وعلينا تنبيهه إلى مصطلحات الكتابة وفوائدها كأن نشرح له الفرق بين الهاء النهائية والتاء المربوطة بأن التاء رمز مزدوج فالنقطتان تعبران عن التاء في حال النطق المستمر، وأن الهاء تحتهما تعبرعن التاء في حال الوقف حين تسمع هاءً.

تعريب التعليم

الحماية بتعريب التعليم*

نسمع بين حين وآخر الشكوى المريرة من ضعف العربية على ألسنة الناس وأقلامهم. ومن أعجب الأمور أن تسمع هذه الشكوى من الأطباء والصيدلانيين وغيرهم من المتخصصين بالعلوم التطبيقية. ومثار العجب أن هؤلاء تلقوا تعليمهم باللغة الأجنبية وهم يعلمون أيضًا باللغة الأجنبية. وهؤلاء من أشد الناس حرصًا على استمرار تعليم العلوم باللغات الأجنبية. وفي كل موقع من مواقع خدمات الجمهور كالمطارات والمستشفيات تجد اللغة الأجنبية هي اللغة السائدة من الناحية العملية. كل هذه الأمور تدل بجلاء على علة من العلل التي أضعفت العربية، فهي ليس لها مكان يقتضي الحرص عليها والتمكن منها وإيلائها الرعاية الكافية. فهي في التعليم العام مقرر من المقررات المزعجة، وهي في ميدان العمل بلا وظيفة تذكر. إذ لا يأبه بما يقع فيها من خطأ إلا الغيورعليها لدوافع ذاتية. ولعل الدعوة لتعليم العلوم بالعربية سبيل إلى بعث الاهتمام بها؛ فهي كغيرها من اللغات صالحة لتعليم أي علم ولها من التاريخ المشرف

* صحيفة اليوم ١٠ شعبان ١٤٢٢هـ عدد ١٠٣٦٠.

ما يشهد لها بذلك. قد يحتج من يرى الإبقاء على اللغات الأجنبية أن تلك اللغات كالإنجليزية هي اللغة العالمية التي هي همزة الوصل بينهم في كل مكان. وهذا أمر لا ندفعه، فهو أمر مشهود؛ ولكن لا ينبغي أن تحتل الإنجليزية بهذا محل العربية. اللغة كائن حيّ في استعماله حياته وفي اهماله مماته، ونحن نرى في المعجم العربي ثروة لفظية معطلة بسبب إهمالها لتغير ملابسات الحياة التي أوجدتها، وكذلك نشهد إهمالا لبعض تراكيب العربية جهلا بمنافعها. وبعض المعالجة في نظري إفساح الميدان للعربية.

التعليم والمصطلح*

يحتج الذين يصرون علـى تعليم العلوم التطبيقية باللغة الإنجليزية بأن مصطلحات تلك العلوم غير ميسورة في اللغة العربية. وهذه الحجة باطلة مدفوعة، إذ إن المجامع اللغوية ومراكز التعريب قد اجتهدت في وضع المصطلحات المختلفة ونشرتها في دورياتها لمن أراد المتابعة. ومما يثار أيضًا أن وضع المصطلح العربي ليكون مماثلا للأجنبي أمر متعذر لاختلاف اللغتين في طريقة توليد الكلمات؛ إذ اللغة الإنجليزية تتخذ من إلصاق الكلمات طريقة لتوليد المصطلح أما العربية فهي لغة اشتقاقية، ومتى استخدمت الإلصاق

* صحيفة اليوم ١٧ شعبان ١٤٢٢هـ عدد١٠٣٦٧.

فيها نتج من الألفاظ ما يمجه السمع وتعافه النفس. والجواب أن النحت والتركيب بأنواعه وسائل عربية إلى جانب الاشتقاق يمكن بها توليد الألفاظ والمصطلحات. والأمر المهم الذي يغفل عنه المحتجون هو أن اللغة في الأصل اصطلاحية، ومعنى ذلك أن أصحابها يمكن أن يولدوا من أصواتها ما شاءوا من الكلمات وفاقًا لأنظمتها دون أن يلزم من هذا أن يكون اللفظ ترجمة من حيث المعنى الحرفي للمصطلح الأجنبي. فالمهم ما يعنيه المصطلح الأجنبي بشكل عام لا ما تعنيه أجزاء المصطلح الملصقة، وهذا أمر مستعمل في غير المصطلحات من كلمات اللغة فالسبورة بالعربية يقابلها في الإنجليزية لفظ مؤلف من كلمتين ملصقتين معناهما (لوح أسود) وهو يطلق على السبورة وإن كانت خضراء لأن اللفظ صار له قيمة وظيفية. والذي ننتهي إليه أننا نستطيع أن نضع ما نشاء من المصطلحات ما دمنا نحملها دلالة خاصة.

في منهجية التعليم اللغوي[*]

كنت من المتابعين المستمتعين للمناقشات التي جرت بين الدكتور عبدالله الحامد والشيخ صالح الفوزان وما تبعها من مناقشات حسن المالكي وغيره.

والدكتور الحامد حين قال ما قال من وجوب مراجعة مناهجنا وما تعودنا على تعليمه من كتب، لم يكن ينطلق من فراغ، بل صدر عن تجربة صادقة يمر بها، وهو المعلم في الجامعة، حين يواجه بطلاب يفتقرون إلى المهارات اللغوية الأولية. وهذا الإحساس هو ما يحسه كثير من المعلمين وغير 'المعلمين. فهذا الدكتور معجب الزهراني يكتب في مجلة اليمامة [ع١٢٠٥- الأربعاء١١/١١/١٤١٢هـ] واصفًا الحال بأنها غير محصورة في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية،بل يجدها أيضا في جامعة الملك سعود، ويستشهد على ملاحظة ضعف الطلاب لغويًا بأقوال أعضاء هيئة التدريس وأولهم معلمو النحو.

وأنا وإن كنت أوافق الدكتور الحامد والدكتور الزهراني وغيرهما في القول بضعف المهارات اللغوية لكني أخالفهما وأخالف

(*) نشر في اليمامة ع١٢٠٨في٢/١٢/١٤١٢هـ

غيرهما في كون التعليم الجامعي سببًا في الضعف، أو ردّ الضعف إلى تعليم الكتب التراثية مثل (شرح ابن عقيل، وشرح شذور الذهب، وشذا العرف).

البر برجب

هذا مثل شعبي تعرفه العامة؛ ولكنه صالح لتفسير سبب الضعف اللغوي، إذ لا يمكن أن نرد ضعف المهارات اللغوية إلى السببين السابقين؛ لأمر بسيط هو أن الطالب التحق بالجامعة ضعيفًا في تلك المهارات، فالطالب قد أمضى اثنتي عشرة سنة من التعليم قبل الجامعة لكنه لم يستطع التمكن من المهارات اللغوية؛ ولهذا الضعف في التعليم العام أسباب مختلفة متشابكة، قد أكثر الناس الكلام فيها؛ لكن المشكلات الجوهرية لا تجد حلولاً ناجعة، ومن تلك الأسباب تمثيلاً لا حصرًا:

١- ضآلة الحصيلة العلمية عند بعض المعلمين وتقاعسهم عن الارتفاع بأنفسهم بالتعلم الذاتي، وإهمال معاودة تدريبهم وإذكاء مهاراتهم.
٢- ضخامة العبء التدريسي الذي لا يتيح له أن يفي بما تقتضيه العملية التعليمية من واجبات؛ لأنه يعامل كالأجير الذي لابد من ملء وقته بالعمل من حيث الكم دون التركيز على الكيف. فثم

فرق بين تعليم عشر ساعات في الأسبوع وتدريس عشرين ساعة.

٣- كثرة المتعلمين كثرة تعجز المعلم عن متابعة تدريبهم وتصحيح أخطائهم إذ لا يجد المعلم وقتًا كافيًا.

٤- انصراف بعض الموجهين عند زيارة المعلمين إلى إبداء بعض ملاحظات جانبية سطحية والغفلة عن الأمور الجوهرية التي قد يكون فيها صلاح المعلم والمتعلم.

٥- ما يتصف به الطالب من سلبية قد يكون مردها إلى العادات التدريسية التي تجعله يتكل على المعلم في كل شيء فالطالب لا يسعى إلى تعليم نفسه ومحاولة حل بعض مشكلاته، فلا هو يقرأ مادة الدرس قبل موعده ولا هو يقرأ الدرس بإمعان بعد ذلك.

٦- كثرة المقررات التي يطالب الدارس بتعلمها، وطول الكتب المقررة.

٧- قلة التدريبات المتصلة بالمهارات اللغوية. وهي على قلتها تترك لينجزها الدارس في بيته بعيدًا عن إشراف المعلم ومراقبته.

والكتب النحوية في التعليم العام كتب جيدة وإن كانت تحتاج إلى شيء يسير من المراجعة في مناهجها؛ ولكنها ليست بحالتها الراهنة سبب الضعف؛ إذ الضعف له أسباب متضافرة متداخلة

عرفت بعضها آنفًا. وأذكر من هذه الأسباب مزاحمة العلوم المختلفة للغة؛ فهي علوم تأخذ أنصبة من زمن التعليم يؤثر على القدرة التحصيلية للعلوم الأساسية التي منها اللغة في المقام الأول في مراحل التعليم الأولى؛ فالتاريخ والجغرافيا وعلوم الطبيعة تأخذ حيزًا في الجدول الدراسي في حين يمكن دمجها في العلوم اللغوية لتكون موضوعاتها مادة القراءة العربية.

والنحو أيضا:

وما يقال عن التاريخ والجغرافيا وعلوم الطبيعة يمكن أن يقال عن النحو والصرف، فليس من اللازم إفراد كتب منفصلة للنحو والصرف، وليس من اللازم أن يكون لها حيز منفصل في الجدول الدراسي إذ يمكن أن تدرس على نحو تطبيقي على النصوص المقروءة فليس من المفيد أن يشتغل ذهن المتعلم في المراحل الأولى من دراسته بمصطلحات النحو والصرف ، فالمهم أن يتعلم اللغة، وتعلم اللغة ليس بحفظ مصطلحات النحو والصرف أو حفظ القواعد النحوية والصرفية؛ إذ اللغة جملة من المهارات التي تكتسب بتعلم اللغة نفسها وممارستها والتدرب عليها تدربًا كافيًا يكفل استيعاب النظام والصدور عنه بشكل عفوي دون إعمال فكر عند التحدث أو القراءة أو الكتابة وتعلم اللغة شبيه بتعلم السباحة أو قيادة السيارة لا

تفيد فيهما المعرفة النظرية وحدها.

النحو نحوان: تعليمي وعملي

وينبغي أن نفرق بين نوعين من النحو، أحدهما النحو التعليمي المتصل اتصالاً وثيقًا بالمهارات اللغوية، وهو الذي تستقيم به الألسن وتصح به العبارة، وهذا النوع هو الذي يجب التدرب عليه في التعليم العام، ولا ضير أن يتعلم الدارس مصطلحاته في مرحلة متقدمة من التعليم العام بعد أن يكون قد تمكن من المهارات اللغوية بعض التمكن، ففي هذه المرحلة يكون قادرًا على إدراك المصطلحات وفهم القواعد؛ لأنها تفسر له مهاراته اللغوية التي اجتهد في تحصيلها.

أما النحو العلمي فهو دراسة النظرية النحوية وأسلوب التفكير النحوي والمعرفة النحوية بتفاصيلها. وهو بهذا مثل أي علم آخر من العلوم، له مشكلاته وقضاياه. والغرض منه درس اللغة ووصفها وتحليلها والتفكير فيها ومعرفة أسرارها ونظمها. ولا يهدف هذا النوع إلى إقامة الألسن أو تصحيح العبارة بشكل مباشر. ومحل هذا النوع من النحو المرحلة الجامعية من التعليم وبخاصة في أقسام اللغة العربية أو كلياتها.

فإن نحن أفلحنا في الفصل بين النوعين ولم نخلط أحدهما في

الآخر تبينت لنا السبيل الصحيحة في تعليم العربية فأفدنا من النحو التعليمي التطبيقي في تعليم المهارات اللغوية، وعمقنا بالنحو العلمي درس اللغة.

ابن مالك والنحوان: التعليمي والعلمي

هذا التفريق بين نحوين أحدهما تعليمي والآخر علمي ليس جديدًا -عند التأمل- إذ نجده في مؤلفات أسلافنا كابن السراج الذي كتب (الموجز في النحو) فضم فيه مسائل النحو التعليمي، وكتب (الأصول في النحو) وفيه بسط مسائل النحو العلمي، وكذلك كتب الزجاجي (الجمل)، وكتب أبوعلي الفارسي (الإيضاح العضدي)، وكتب الزبيدي (الواضح في علم العربية)، وثم كتب كثيرة أخرى كلها في النحو التعليمي.

وهذا ابن مالك كتب ألفيته لتكون نصًّا يزوي قضايا النحو التعليمي حسب اجتهاده، وآية قصده الغرض العليمي أنه اختار من اللغات والأعاريب ما اشتهر عند الجمهور وما تحصيله سهل على المتعلم يسير التناول، ولو اكتفى الشراح بما اقتصر عليه ابن مالك لكان ذلك محققًا لغرضه الذي سعى إليه، ولكنهم حولوا الألفية بشروحهم وحواشيهم إلى كتاب في النحو العلمي؛ غير أنّا نجد ابن مالك في كتبه الأخرى يسلك سلوكًا مغايرًا لاختياراته في الألفية؛

لأنه في تلك الكتب يتحدث عن النحو العلمي لا التعليمي.

أتعلم الجامعة اللغة أم تعلم العلوم اللغوية؟

ينبغي للطالب أن يدخل الجامعة بعد أن تكون مهاراته اللغوية قد اكتملت، أي بعد أن تعلم اللغة؛ إذ الجامعة ليست محلاً لتعلم مهارات اللغة. فمن العيب أن يدخل الجامعة من لم يتعلم لغته، وليس ثمة من يتعلم لغته القومية في دول العالم في الجامعة؛ لأن الجامعة محلل لدرس اللغة وتحليلها والبحث في قضاياها وتاريخها وأعلامها.

ودرس اللغة في الجامعة سمينا جزءًا منه النحو العلمي، وليس هذا النوع من النحو مشكلاً؛ إذ هو علم كغيره من العلوم -كعلم الطبيعة والأحياء والتاريخ والجغرافيا والهندسة- يحصل كما تحصل.

ومن العلوم اللغوية ما لا يدرس في كل جامعة مثل علم الدلالة وعلم المعجم وعلم اللغة النفسي وطائفة أخرى من العلوم اللغوية.

تعليم الكتب التراثية

يردّ بعض من حاولوا تلمس أسباب ضعف التعليم هذا الضعف إلى تعليم الكتب التراثية مثل شرح ابن عقيل أو شذور الذهب أو غيرهما من الكتب الأخرى (الزهراني، اليمامةع١٢٠٥- الأربعاء١١/١١/١٤١٢هـ) وهي كتب قررها المشتغلون بتعليم

النحو لشمولها ولجودة عبارتها وسهولتها. وليس الغرض من تعليمها المعرفة النحوية وحدها بل ربط الدارس بالتراث نفسه وليقف علـــى طريقة المتقدمين في التأليف وصياغة الأحكام ودقة التمثيل وحـــسن الاستشهاد. وليست هذه الكتب منتهى التعليم بل نقطة انطلاق لبحث الظواهر ودرسها والوقوف على أسبابها.

والحقيقة أن المشكلة ليست في هذه الكتب أنفسها بل في طريقة تعليمها وتدريسها، إذ قد تعلم بطريقـــة لا تـــصلح للجامعـــة وهـــي الطريقة التي تزوي المتعلم في حيز ضيق يتكل فيه علـــى الـــذاكرة والحفظ وحدهما، ولكنها قد تعلم بطريقة تذكي في الـــدارس ملكـــة البحث حين تكون هذه الكتب ميدانًا للتحليل والتفكير وطلب الأسباب وتعليل الظواهر، وجمع النظائر.

ولعل أسئلة الامتحانات التي يواجه بها الدارس خير دليل على طريقة تعليم هذه الكتب.

النحو والعلوم اللسانية الحديثة

ويدعو الزهراني في مقاله الذي أشرت إليه سابقًا إلى الإفـــادة من علوم اللسان الحديثة التي يمكن أن تخدم اللسان العربـــي لأنهـــا أصبحت من أكثر العلوم الإنسانية دقّة وانظباطًا في مناهجها ومـــن أكثرها فعالية وإنجازًا.

وهذه الإفادة التي يدعو إليها ليست صعبة التحقق؛ ذلك أن النظرية النحوية بما لها من تماسك وقوة كانت قادرة وما تزال على تفسير الظواهر اللغوية. وكثير من أفكار اللسانيين المحدثين سبقهم العرب إليه منذ قرون؛ فدراسة الأصوات والتراكيب له ما يناظره في الدرس اللغوي العربي على نحو سامق لا يحتاج إلا إلى بعض الصقل وإعادة ترتيب القضايا وتصحيح بعض المسلمات.

على أن المشكلة التي واجهت الاتصال العربي بالعلوم اللسانية أن من تلقوها عادوا بنظرة فيها بعض الجفاء للموروث جملة وتفصيلاً، فأشغل بعضهم نفسه بنقد النحو العربي دون أن يقدم بديلاً صالحًا ينطلق من داخل اللغة نفسها لا أن يفرض من الخارج، ولم يقدم اللسانيون المحدثون نظرية متماسكة صالحة لدرس اللغة العربية.

المشتغلون بالدرس اللغوي نوعان: نحويون تراثيون ليس لهم اطلاع على علوم اللسان الحديثة أو زادهم من ذلك قليل، ولسانيون معرفتخم التراثية قليلة، فهم يفاجؤون بما قد يصادفونه من أفكار لسانية في التراث ظنوا أنها حديثة.

والأمر المؤسف أن تجد كثيرًا من المشتغلين بالعلوم اللغوية يفصل فصلاً صارمًا بين الدراسة الصرفية النحوية واللسانيات غافلاً

عن حقيقة لا مراء فيها هي أن اللسانيات دراسة الأنظمة اللغوية في مستوياتها المختلفة الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية والدلالية.

أما على صعيد الدرس اللساني للعربية فإن المتأمل للجهود المبذولة يجد بعضها يفتقر إلى المعرفة التراثية، ويجد بعضها تطبيقًا غير موفق لنظريات انطلقت من لغات أجنبية، فهي نظريات يجب تحويرها وتطويعها لتلائم اللغة العربية، وتجد بعضها غامضًا يصعب الانتفاع به أو الخروج منه بشيء. ويمكن آخر الأمر القول إن الدرس اللساني الذي لا يقوم على الجهود العربية التراثية وينطلق منها مشكوك في نجاحه.

اللغة والحاسوب

الذين شهدوا محاضرات الندوة التي نظمتها مكتبة الملك عبدالعزيز من ٨ذي القعدة حتى ١٢ منه سنة ١٤١٢هـ أدركوا إدراكًا تامًا أن العلاقة بين المشتغلين باللغة والمشتغلين بالحاسوب علاقة منفكة. فكثير من علماء العربية لا يعرفون من أمر أنظمة الحاسوب شيئًا، وكثير من المهندسين والمتخصصين ببرامج الحاسوب تنقصهم المعرفة اللغوية. والأمر الذي لا مفرّ منه لدرء هذا النقص هو التعاون بين الفريقين تعاونًا تامًا مثمرًا يتعدى

اللقاءات في الندوات إلى مشروعات ترعاها المؤسسات القادرة على الإدارة ومتطلبات التنفيذ.

واجب الجامعات في التطوير

ليست الجامعات مسؤولة عن التعليم وحده، بل هي مطالبة بأكثر من ذلك مما يعود آخر الأمر بالخير على التعليم، فهي مطالبة بمساعدة أعضاء التدريس فيها لزيادة خبراتهم وإكسابهم خبرات جديدة تعينهم على العمل الجاد المتوفق مع روح العصر، وهذا التطوير في المجال اللغوي يمكن أن يكون في جانبين أحدهما الجانب اللساني حيث تعقد دورات خاصة في اللسانيات الحديثة، أما الجانب الآخر فهو الحاسوب حيث تعقد لأعضاء هيئة التدريس دورات تدريبية تمكنهم من الاستفادة من إمكاناته.

ضعف تعليم العربية

تختانون أنفسكم*

دع عنك ضعف المناهج وسوء تأليف الكتب وضعف المعلمين فكل هذا أمر عرفناه ولسنا بحاجة إلى ترديد القول فيه. وما أريد أن ألفت إليه الانتباه هو أنكم تختانون أنفسكم حين تتقبلون نتائج أبنائكم كما تظهر على الأوراق دون سبر حقيقي لمهاراتهم وتحصيلهم ودون نظر في نوعية ما حصلوه من تعليم إن كانوا حصلوا خيرًا. بل يبلغ الأمر أن تثور ثائرة بعض الناس حين تجابهه حقيقة تقصير ابنه أو تخلفه في التحصيل. وإن الوساطة لتدس أنفها بعض الأحيان لتقويم القدرات فيكون من تزييف النتائج وبهرجة التحصيل ما الله به عليم. ثم انظر هل يستطيع ممتحن طلابه أن يتركهم والامتحان وحدهم دون مراقبة مشددة خوف أن يعمدوا إلى الغش لاجتياز الامتحان. فما الاختبارات في نظره سوى أسوار عليه أن يقفز فوقها ويجتازها بأي سبيل. وليس تحصيل العلم وإتقان المهارة هي المطلب الأول؛ وليس أدل على ذلك مما نعانيه من طلاب الجامعة حين نعلمهم مقررًا معتمدًا على علوم سابقة؛ إذ نجدهم يجهلون تلك العلوم جهلا شديدًا،

---

* صحيفة اليوم ٢٢ رمضان ١٤٢٢هـ عدد١٠٤٠٢.

كأنهم حين تجاوزوا الاختبار بهـا انتهـى أمرهـا فنبـذوها وراء ظهورهم. وإنك لتطالبهم بالعودة إلى مسائل بأعيانها فـلا يعـودون إليها وكأن التحصيل ليس من شأنهم وأنْ ليسوا مجندين له في المقام الأول. وإنما نحن ممتحنون في أخلاقنا حين لا نبذل جهدنا في التعلم وحين ننتهز الفرص ونقتنص الغفلات لننهب ما لـيس مـن حقنـا. فالتعلم خلق في المقام الأول.

إنما أنت حاجز*

هكذا أنت في وهم بعض طلاب جامعاتنا. فالأستاذ لـيس فـي عرفه قائد سفينة المعرفة يستبصر برأيه ويؤخذ عنه ما قد لا تجـده في كتاب مدون. بل هو حاجز لابد من القفز عليه بحصان مـريض هزيل، وليس مهمًّا أن تجتاز بغش أو خديعة أو توسل واستعطاف إن نفع ذلك. أقول هذا وقد فوجئت بخطاب كتبه أحد أبنائنا الطلبة لمّا لم يحالفه الحظ فتخلف في الامتحان، كتب يشرح أمره برسالة هي أدل دليل على ضعف تحصيله وقلة مهارته فالخط رديء والأفكار غيـر منظمة والحجج واهية، بيّن في خطابه أنه من الطلاب القدماء، وأنه رسب في المقرر غير مرة عند عدد من المعلمين، وأنه صار لـذلك خبيرا بالمقرر؛ فذكرني قوله هذا ببعض أهل مصر تجده يفتخر أنـه

* صحيفة اليوم ٢ جمادى الآخرة ١٤٢٣هـ عدد١٠٦٤٩.

ساقط ثانوية عامة، أي أنه بلغ من الشأو هذا المبلغ. ولما تسلمت الرسالة عدت لأستطلع أمره لعلي أجد باعثا بعثه إلى أن يكتب تلك الرسالة. فرحت استقصي حال الطالب، فرأيته من جملة الذين يتغيبون عن الدروس دون عذر مقبول، ورأيته لم يراجعني أبدا في أي مسألة من مسائل المقرر، ولم أره شارك معنا في الفصل في نقاش مسألة أو أبدى وجهة نظر.

وأذكر أن مفردات المقرر كانت تثير في أذهاننا ما نحن بحاجة إلى معاودة الدرس والكشف عن أصولها في مراجع أكبر من الكتاب الذي بين أيدينا فكنت أكلف الطلاب تكليفا جماعيا بالعودة إلى كتاب أو أكثر في الموضوع ثم العودة بالجواب في الدرس القادم ولكن خيبة الأمل تضرب أطنابها قوية حين أجدهم قد أجمعوا على نسيان الأمر كأن الأمر شيء من الدعابة. أما في الساعات المكتبية المخصصة لاستقبال الطلاب فلا ترى منهم أحدا وإن رأيته وفرحت بمقدمه خيب ظنك حين تراه يتوجه إليك باستعطاف أن تعيد له اختبارا فصليا أو أن تراعي ظروفه الخاصة وما أكثر هذه الظروف. إن المعلم ينهض بمسؤوليتين خطيرتين إحداهما التعليم الذي عليه أن يجتهد فيه كل الاجتهاد، والأمر الثاني هو الاختبار. والاختبار كالقضاء الذي لا يجوز للقاضي أن تأخذه رأفة بالمقصر، ونحن إذن

قضاة فإن حكمنا له بما لا يستحق خنا الأمانة وظلمنا أنفسنا ومجتمعنا. وما هذا الضعف الذي نشهده في كل مهاراتنا التعليمية إلا ثمرة عوامل مختلفة منها بلا شك ضعف الاختبارات ومنها الرأفة بالضعفاء من دون حق.

من رجال التربية والتعليم
أبوسليمان*

التربية علم وفن له أصوله ومفرداته وهو رصيد هائل من تجارب الإنسانية وخبراتها. ولكن استثمار ذلك العلم والانتفاع به غير مستغن عن الاستعداد الفطري للإدارة. فمن بديهة تبادر إلى معالجة المعضلات إلى حكمة تأخذ طريقها إلى أفئدة البشر وعقولها. كنا صفًا تعيسًا في مدرسة ابتدائية؛ إن أفلحنا في حفظ نصوص الحديث الشريف فإنا نخفق في حفظ ما يستفاد من تلك الأحاديث. وكانت العصا تنهال علينا فلا ترتفع عن أيدينا ولكن دون جدوى؛ حتى ضج الطلاب وارتفع الأمر إلى مدير المدرسة الذي تفتق ذهنه عن حل عبقري؛ إذ وجه المدرس وطلابه إلى استنباط ما يستفاد من الحديث من نص الحديث نفسه دون حفظ ما اجتهد المؤلفون في كتابته. فكان مجال لتفنن الطلاب في استنطاق المعاني والدلالات. وتحولت دروس العَذاب إلى دروسٍ عِذاب. لم يكن أبو سليمان في ذلك الوقت قد درس شيئًا من الإدارة فلم يكن معهد الإدارة قد عرف ولم يدخل كلية لتعلم الإدارة؛ ولكنها الإدارة الفطرية التي جبل عليها.

---

* صحيفة اليوم ٢٥ رجب ١٤٢٢هـ عدد١٠٢٤٦.

أهلته دراسته الابتدائية ليكون معلمًا ناجحًا ثم مديرًا للمدرسة، حتى إذا انتقل إلى الأعمال الإدارية في مؤسسات تعليمية أخرى مثل جامعة الملك سعود والرئاسة العامة لتعليم البنات كان مبدعًا في معالجة ما يوكل إليه من مهمات. ولو كتب أبو سليمان محمد الشمسان ما سمعت بعضه منه لكان لنا رصيد من التجارب والدروس المستفادة التي يمكن أن يتمثلها من لا خبرة له.

سي الناظر*

يختزل أهل الكنانة لفظ (سيدي) إلى (سي) وبخاصة في لغة النساء. أما الناظر فهو أعلى سلطة في المدرسة. وهو المسؤول الكبير في مصالح أخرى؛ فهناك ناظر المحطة وناظر العزبة، وهكذا. ويتصف الناظر في بعض الأحيان بالتحكم والاستبداد الذي يحرض عليه الإحساس بالسلطة وما تنطوي عليه نفس الإنسان من ضعف. وحدثني من أثق به أنّ أحد مديري جامعات آسيا قد تحولت جامعته للأسف إلى مدرسة خلافًا لما هو معهود من تحول المدارس إلى جامعات. وتحول معها المدير إلى ناظر، أما أساتذة الجامعة فقد صار عليهم أن يعاملوا معاملة معلمي المدارس إلا في الراتب فلمعلمي المدارس على هؤلاء درجة أو درجات. على أن المهم في هذه الحالة الجديدة حضور المعلم في موعده ودخوله في الفصل مع طلابه، وليس مهمًا بعد ذلك كيفية التعليم ولا محصلاته. ولكن الناظر واجهته مشكلة؛ ولكنه لما كان خبيرًا بحل المشكلات تفتق ذهنه عن حل عبقري. فما المشكلة وما حلها. المشكلة أن الجامعة تحولت من الناحية العملية إلى مدرسة ولكن أعرافها وأنظمتها لما تتحول؛ فكيف يعرف الناظر حضور المعلمين وليس من عادتهم أن

* صحيفة اليوم ٧ ربيع الأول ١٤٢٣هـ عدد١٠٥٦٥.

يوقعوا في دفتر حضور وانصراف كما يفعل الكتبة والمعلمون في المدارس. أما الحل الذي رأى الناظر أنه يكشف له الحاضر والغائب فهو مطالبة المعلم بكشف حضور الطلاب وغيابهم، وليس الغرض من ذلك مراقبة حضور الطلاب بل مراقبة حضور الأستاذ، أقصد المعلم. وهكذا انتزع الناظر من الأساتذة أعز ما يفخرون به في عملهم وهو الثقة بهم وبأدائهم. وبدل أن ينصرف الناظر إلى ما يعنيه من أمر تطوير الكوادر وتأهيلها وتدريبها لمزيد من العمل المثمر يسلب من المراقب وظيفته ويزاولها دون تمييز بين الأساتذة، فإذا جاءت المراقبة جاءت عامة، وإذا طلبت أوراق الحضور جاءت عامة، حتى لربما طولب من ليس في جدوله درس في يوم المطالبة. وزيارة الفصل للكشف عن الحضور قد لا تكون صادقة الدلالة؛ إذ قد يكون الأستاذ بصحبة طلابه في المكتبة، أو في محاضرة مهمة تلقى في مكان آخر. صحيح أن نفرًا قليلا من الأساتذة ربما جاروا على هذه الثقة فاستعدوا على أنفسهم وعلى غيرهم؛ ولكن الواجب أن تكون لكل حالة علاجها دون إخلال بمبدء أو قطع عرف جرى العمل عليه. والله نسأل أن تكون الحكمة رائدنا، والثقة بمن يربون أجيالنا طريقتنا، وأن يجنبنا طرائق الزلل، وأن يكشف لنا مواطن الخلل.

لغة وتراث

خصائص لغة الإنسان*

تتواصل أفراد أجناس الحيوان على هذه الأرض بألوان مختلفة من أنظمة الاتصال الحركي منها والصوتي والكيميائي، على أن أعلاها لغة الإنسان بما تمتاز به من مميزات، فللغة الانسان مميزات تتفوق بها على أي نظام اتصال حيواني، من ذلك اتصافها بصفة (الثنائية) فاللغة تظافر بين المعنى والمبنى، ويشمل المبنى الأصوات وترتيبها ونظام التركيب النحوي من رتبة بين عناصره وتضام ومطابقة وروابط،وعلامات إعراب، وما من نظام اتصال حيواني له صفة الثنائية، ولا حتى يكاد يتصف بها. فنداءات غراب الزيتون مثلا هي نداءات وحدية قليلة، ونباح الكلب كليات تستعصي على التحليل. ومن هذه المميزات (صفة الإنتاجية) وهي أن اللغة تمكننا من قول ما لم نقله من قبل أي أن ننتج جملا جديدة كل الجدة لا حصر لها. وليس كذلك حيوان مثل الجيبون إذ يفتقر نظامه إلى الإنتاجية فهو يطلق نداءاته من ذخيرة ثابتة تستنفد بسرعة بلا تجديد. بل أنظمة الاتصال لدى معظم أشكال الحياة الأخرى غير منتجه. فرقص النحل إنما هو للإبلاغ عن مصادر الرحيق التي تقع

---

* صحيفة اليوم ٧ رمضان ١٤٢٣هـ عدد١٠٧٤٢.

ضمن بضعة أميال من قفيرالنحل في أي اتجاه. ومن مميزات لغة الإنسان(صفة الاعتباطية) والمقصود بذلك أن الرمزالصوتي وما يدل عليه لا يربطهما في الحقيقة المحسوسة شيء بل ربطهما أمر اصطلاحي بين أهل اللغة ولذلك لا علة له؛ ومن أجل ذلك اختلفت لغات العالم في أسمائها وأفعالها. أما رقص النحل فهو تمثيلي لا اعتباطي، لأن هناك علاقة مباشرة بين الرقص نفسه ومصدر الرحيق بعدد التدويمات التي تدومها النحلة واتجاهها. ومن مميزات اللغة الإنسانية (قابلية التبادل) أي أن كل إنسان يمكن أن يكون منتجا ومستقبلا للرسائل. وهي ميزة إن وجدت عند بعض الحيوان فإنها تتخلف عن بعض، فمن الطّيور ما للذكور نداءات ليست للإناث. ومن تلك المميزات(التصرف الزمني) إذ يمكن استخدام اللغة للإشارة إلى مسائل حقيقية أو متخيلة في الماضي أو الحاضر أو المستقبل بل يمكن اللغة استبطان نفسها أي الحديث باللغة عن اللغة نفسها، أما نداء الطعام عند الجيبون فإنما يكون بحضرة الطعام لكنه لا يعبرعن شيء أكله العام المنصرم. والنحل طبعا، تدلي بالحقيقة وهي أنها قد وجدت رحيقا الآن ولكنها لا ترقص لرحيق اكتشفته في مناسبة ماضية، ولا تتفكر في مكتشفات المستقبل. فالإنسان وحده القادر عاى أن ينغمس في دوامة معقدة من التساؤل والإجابة. ومن مميزات

لغة الإنسان(صفة التخصص) وهي أن لغة الإنسان تخصص جزئي لبعض أعضائه فليس جسده مسخرًا كله لأدائها؛ إذ يستطيع الإنسان أن يتكلم وهو مشغول بنشاطات لا ارتباط أبدا بينها وبين موضوع المناقشة. أما النحلة وهي ترقص فمرتبطة بعملية الاتصال. ومن مميزات لغة الإنسان أيضًا(النقل التعليمي) فالإنسان يتعلم لغته من جيل إلى جيل واجتماعه شرط لذلك فلو انعزل لفقد اللغة. فهي لا تنقل بيولوجيا من جيل إلي جيل أما أنظمة الحيوان فهي تنقل وراثيا.

المعنى والظاهرة اللغوية*

علاقة الحركة بالمعنى

يقال: إن الإعراب فرع على المعنى، أي أنّ فهمك للدلالة في السياق يحدد وظائف الكلمات فيها، ولذلك نجدهم اختلفوا في أعاريب لفظ واحد؛ لأنهم اختلفوا في فهم المعنى وتوجيهه، فمن تعدد الأعاريب إعراب (رسولاً) في قوله تعالى{وأرسلناك للناس رسولاً}؛ إذ أُعرب إعرابين: الأول حالاً مؤكدة فالمعنى أرسلناك ذا رسالة، والإعراب الثاني على أنه مفعول مطلق والمعنى أرسلناك إرسالاً[1].

على أن الإعراب يمكّن أن يكون موجهًا للمعنى حين يختار الإنسان حالة إعرابية محددة ولعل خير ما يدل على ذلك ما يرويه ابن قتيبة في قوله: "حدثني أبو حاتم عن الأصمعي قال: سمعت مولى لآل عمر بن الخطاب يقول: أخذ عبدالملك بن مروان رجلاً كان يرى رأي الخوارج(رأي شبيب)، فقال: ألست القائل:

ومنّا سُيدٌ والبطينُ وقَعنبٌ　　　ومنّا أميرُ المؤمنين شبيبُ

فقال: إنّما قلت:ومنّا أميرَ المؤمنين شبيب، بالنصب، أي يا

---

* صحيفة اليوم ٦ جمادى الأولى ١٤٢٢هـ عدد١٠٢٦٩.

١) أبو البقاء العكبري، التبيان في إعراب القرآن، تحقيق: علي محمد البجاوي (عيسى البابي الحلبي/ القاهرة، ١٩٧٦م)١: ٣٧٤.

أميرَ المؤمنين، فأمر بتخلية سبيله"[١].

وشبيب هو أبو الضحاك شبيب بن يزيد الشيباني أحد أبطال الخوارج الثائرين على بني أميّة، خرج في خلافة عبدالملك وادّعى الخلافة، فحاربه الحجاج حتى هزم، وإليه تنسب فرقة الشبيبية، وقد أنكر عبدالملك على الرجل الخرجي أن يدعو شبيبًا بأمير المؤمنين، ولكنّ الرجل لفرط ذكائه غيّر حركة الإعراب فتغيّر لها المعنى، والمعنى بالرفع على الابتداء، أما بالنصب فعلى النداء، فبعد أن كان المعنى: أميرُ المؤمنين شبيب منّا، صار المعنى: شبيب يا أميرَ المؤمنين منّا. أمّا عبدالملك فهو يعلم حقيقة الرجل ؛ لكنه معجب بذكائه وحسن تخلصه وهذا مما يفعل فعله في النفوس الكريمة العالية، ولذلك أطلقه.

وعلق التوحيدي بعد إيراد هذا الخبر:"أما ترى تيقظه ونقله الكلام بالإعراب عن سبيل هلكته إلى سبيل نجاته"[٢].

والذي أتاح الانتقال إلى النداء هو أن النداء يكون بأداة النداء ويكون بحذفها أيضًا؛ لأنّ تنغيم الجملة يغني عن ذكر الأداة، فالسامع يدرك من التنغيم أنّ المتحدث ينادي ولا يخبر، والتنغيم والنبر مما لم

٢) ابن قتيبة، عيون الأخبار، ٢: ١٥٥.

١) أبو حيان التوحيدي، البصائر والذخائر، ٣: ٩٧.

يلتفت إليه المقعّدون لنحو العربية؛ لعنايتهم بنحو النصوص والانطلاق من المكتوب.

ومما يرد مثالاً على أثر الحركة في فهم المعنى ما يسوقه ابن قتيبة: "رجل لأعرابي: كيف أهلِك؟-يريد:كيف أهلُك- فقال الأعرابي: صَلبًا، ظن أنّه سأله عن هَلَكَته كيف تكون"[١].

والحركة هنا غيّرت الاسم (أهل) وهو ما كان يريده السائل إلى فعل هو مضارع (هلك) أي: أهلك؛ فكأنه سأله قائلاً: كيف أهلِكُ أنا، فأجابه الأعرابي: تهلك صلبًا، وبعد أن كانت الكاف ضميرًا للمخاطب استحالت بالحركة غير المقصودة إلى حرف من حروف الفعل.

وعلق التوحيدي على هذه الحكاية بقوله:"وهذا وأشباهه يدلك على معرفة العرب بالمعاني التي اختلف لها الإعراب، وتلك المعاني هي العلل"[٢].

ولسنا ننكر معرفة العرب تلك؛ ولكنّا نثبت لهم معرفة أخرى وهي إدراكهم السليم للمواقف والسياقات التي تكفل سلامة المعنى وتضمن حسن الفهم فالموقف ليس موقف.

---

١) ابن قتيبة، عيون الأخبار، ٢: ١٥٧.

٢) أبو حيان التوحيدي، البصائر والذخائر، ٣: ٩٨.

التذكير أو التأنيث للمعنى

إن يكن الإعراب فرعًا على المعنى فإن المعنى قد يقود إلى تغيير الظاهرة اللغوية فيؤنث ما لفظه مذكر رعاية للمعنى المقصود، ومن ذلك ما رواه ابن قتيبة قال:"قال الخليل بن أحمد: أنشدني أعرابي:

وإن كلابًا هذه عشر أبطن *** وأنت بريء من قبائلها العشر

فجعلت أعجب من قوله: عشر أبطن حين أنث لأنه عنى القبيلة، فلما رأى عجبي من ذلك قال: أليس هكذا قول الآخر:

فكان مجني دون من كنت أتقي***ثلاث شخوص كاعبان ومعصر"

والبيت الذي أنشده الأعرابي للنواح الكلابي، أما الذي استشهد به فهو لعمر بن ربيعة أشهر شعراء قريش. ومن شواهد هذه الظاهرة ما ورد في القرآن قال تعالى{من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها}؛ لأن المعنى واقع على حسنات، وكذلك قوله تعالى{وقطعناهم اثنتي عشرة أسباطا} لأن معناه: جماعات. وقال المبرد في الكامل:"وقوله(ثلاث شخوص) والوجه (ثلاثة أشخص) ولكنه لما قصد إلى النساء أنث على المعنى وأبان ما أراد بقوله(كاعبان ومعصر)". والمبرد يبين لنا في قوله مسألتين: إحداهما متعلقة بالجنس أي التذكير والتأنيث؛ فالمعدود من ثلاثة حتى عشرة يخالفه العدد تذكيرا وتأنيثا، والمسألة الأخرى متعلقة بالجمع؛ إذ الجمع جمعان جمع قلة وجمع كثرة،

وجمع الكثرة ما تجاوز العشرة وجمع القلة ما دون ذلك، فلما قال(ثلاثة) ناسب أن يكون الجمع جمع قلة (أشخص) على أن السياقات هي التي تتحكم بدلالة الجمع على القلة والكثرة، وللشعر لوازم قد تحول دون ذلك.

الحضرمي والفرزدق*

الحضرمي أحد النحويين العظام الذين أسسوا للنحو العربي تأسيسا قويًا، وكان مشغوفا بمراقبة استعمال اللغة على ألسنة الشعراء، وربما كان يراجعهم في استعمالاتهم متعمدا تعليم من حوله من طلاب النحو والعربية. أما الفرزدق فكان من أشهر شعراء عصر بني أمية، اتصف شعره بالجزالة ولكنه كان يحب المداخلة في شعره فيعجب النحويين. سأل الحضرميّ الفرزدق يومًا: كيف تنشد هذا البيت

وعينان قال الله كونا فكانتا فعولان بالألباب ما تفعل الخمر

فأنشده الفرزدق (فعولان)، فقال له عبدالله: ما كان عليك لو قلت: فعولين؟ فقال الفرزدق: لو شئت أن أسبح لسبحت، ونهض، فلم يعرفوا مراده، فقال عبدالله: لو قال: فعولين؛ لأخبر أن الله خلقهما وأمرهما؛ ولكنه أراد أنهما تفعلان ما تفعل الخمر".

---

* صحيفة اليوم ١٢ ربيع الآخر ١٤٢٣هـ عدد١٠٦٠٠.

تستعمل (كان) في العربية استعمال غيرها من الأفعال فيكـون لها فاعل مرفوع وبهذا الاستعمال جاء بيت الفرزدق، وجملة مقـول القول تنتهي في الشطر الأول أي (كونا فكانتا) يقـصد أن الله أمـر بخلقهما فطاوعتا ذلك الأمر. أما الشطر الثاني فهـو خبـر للمبتـدأ (عينان). وتستعمل (كان) بأن تدخل على الجملة الاسـمية فيرتفـع المبتدأ كالفاعل وتنتصب الخبر كالمفعول به، ويتغير المعنى، وهو ما أشار إليه الحضرمي. وما لم يفهمه القوم هو أن الفرزدق تخير أمرًا من أمرين ممكنين. وكان الفرزدق يضيق بمراجعة الحضرمي، مـن ذلك أنه مر به فأنشده قصيدته التي جاء فيها:

وعضّ زمان يابن مروان لم يدع***من المال إلا مسحتًا أو مجلف

فقال الحضرمي للفرزدق:علام رفعت مجلف؟ فقال: على مـا يسوءك. وعلى الرغم من هذه المراجعة يروى أن الحضرمي ألتمس للرفع وجها لم تذكره كتب الأخبار، ولعله في تقديري علـى قطـع العطف كما يقطع النعت فيكون الرفع على أنه خبر مبتـدأ محـذف تقديره (هو). وبلغ من ضيق الفرزدق بالحضرمي أن قال فيه:

ولو كان عبدالله مولى هجوته ولكن عبدالله مولى مواليا

ولم يأبه الحضرمي لقوله بل التفت إلى محاسبته من حيث أخطأ في النحو، فقال له: أخطأت، مولى موال. والحضرمي يذكرنا بقوله هذا بأن الاسم المنقوص المنون في الرفع والجر تحذف منه اليـاء لأنـه

عندهم حرف ساكن لاقى التنوين وهو أيضًا ساكن فالتقى ساكنان فحف حرف العلة أما أصحاب الصوتيات اليوم فهم يقولون إن الياء هنا كسرة طويلة فلما أقفلت بالنون صار المقطع الصوتي طويلا مقفلا فقصرت الحركة الطويلة لتلافي ذلك.

أفعل يُفعل*

إن من اللحن الذي تعافه النفس ويمجه الذوق ما يفضي إلى المعنى المنكر، وإنما يقع في ذلك من ضعف إدراكه لما تنطوي عليه المباني من مختلف المعاني، فلا يفرق بين مجرد ولا مزيد في المعنى الذي هو حظ مشاع لبني اللغة وليس وقفًا على أرباب الصناعة وحذاق علوم اللغة؛ فهذا أحد الأعراب ينكر مثل هذا الخطأ ويزري بصاحبه، روى ابن قتيبة:"وسمع أعرابي إمامًا يقرأ {ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا} بفتح تاء تنكحوا، فقال: سبحان الله! هذا قبل الإسلام قبيح فكيف بعده؟ فقيل له:إنه لحن، والقراءة {لا تُنكحوا} فقال: قبحه الله، لا تجعلوه إمامًا فإنه يحل ما حرّم الله".

والفعل بالفتحة مجرد يجعل المعنى نهي المسلمين عن أن يتزوجوا المشركين، ومثل هذا الزواج لا يمكن أن يرتكبه عربي في الجاهلية فكيف في الإسلام، أما بالضم فالفعل مزيد؛ والمعنى نهي المسلمين عن أن يزوجوا المشركين، فالفرق ظاهر بين (نكح)

* صحيفة اليوم ٨ربيع الآخر ١٤٢٢هـ عدد١٠٢٤١.

و(أنكح) فالثانية متضمنة لمعنى زائد عن الأولى بفضل زيادة المبنى وذلكم الهمزة؛ فأنكح تعني جعله ينكح، ومن شواهد ذلك قوله تعالى{قال إني أريد أن أنكحك إحدى ابنتي هاتين}. ولو نشر ذلك الأعرابي اليوم وسمع الناس كيف ينطقون لولى منهم فرارًا، إذ كثر خلط الناس بين مضارعي فعل وأفعل، فالفعل يلقي بضم الياء تسمعها بالفتح. وأدهى من ذلك أنهم قد يضمون ما حقه الفتح مثل الفعل(تَحل) بفتح التاء فقد ورد في إعلان عن جريدة اليوم- قبيل افتتاح مقرها الجديد- بضم التاء(تُحل).

الإسراف في التدخل*

كتبت في صحيفة اليوم مقالة عنوانها (من يقرأ)* عن معاناة كتاب الزوايا. وجاء تدخل التحرير ليدل على شيء من هذه المعاناة؛ إذ تدخلوا في تقسيم المقال إلى فقرات من عند أنفسهم، وأسقطوا سطرًا كاملا فجاء الكلام ناقصًا وهذا السطر قولي: "وليس يجد نفسه مطلق العنان موكولا بأمر قوله مشعرًا أنه شبّ عن الطوق".

ومن التدخل تصحيح ما هو صحيح؛ إذ صحح قولي: "فهو محوط بركام من المطبوعات" إلى: "فهو محاط بركام من المطبوعات". ولو أنه راجع (لسان العرب) لوجد قوله: "وأحاطت به

---

* صحيفة اليوم ١٣ ذو القعدة ١٤٢٢هـ عدد١٠٤٥٣.

* صحيفة اليوم ١٣ شوال ١٤٢٢هـ عدد١٠٤٢٣.

الخيل وحاطت واحتاطت: أحدقت".

وأذكر أنه في مقال قديم عن الخط العربي غيّر التحرير الجمع (الخطّاطة) إلى الجمع السالم وهو(الخطّاطون) وليس من موجب لهذا التصحيح لأن الجمع (الخطاطة) صحيح. ومثله ما ننقله من معجم (الصحاح): "والجمّالة أصحاب الجمال مثل الخيّالة والحمّارة قال الهذلي:

حتى إذا أسلكوهم في قتائده شلا كما تطرد الجمّالة الشردا"

و"الخيّالة أصحاب الخيول ". و"الحمّارة أصحاب الحمير في السفر، الواحد حمّار، مثل: جمّال وبغّال". و"الحطّابة الذين يحتطبون". و"النظّارة: القوم ينظرون إلى الشيء من حد يقام أو غيره". ومن ذلك الرَّجّالة جمع راجل.

ويكثر هذا الجمع في لهجات الجزيرة العربية، منه الحيّالة جمع حيّال أي محتال، والبيّاعة جمع بيّاع، والسّفّارة جمع سفّار، الديّانة جمع ديّان، الجدّادة جمع جدّاد وهو من يقطع قنيان(قنوان) النخل. الحدّادة جمع حدّاد، الخرّازة جمع خرّاز وهو المشتغل بالصناعات الجلدية.

ولعل التحرير يكون أكثر ترويًا وأكثر تحريًا. وليس من بأس أن يرجع المرء إلى كتب اللغة قبل أن يجزم بالتخطئة.

طرائف لغوية

صياح الديك*

من طريف ما يروى عن أبي حاتم السجستاني أنه دخل بغداد فسأله بعض الناس عن قوله تعالى{قوا أنفسكم} ما يقال منه للواحد؟ فقال:ق، فقال: فالاثنين؟ فقال:قيا، قال: فالجمع؟ قال: قوا، قال فاجمع لي الثلاثة، قال: ق، قيا، قوا. وكان في ناحية المسجد رجل جالس ومعه قماش فقال لواحد: احتفظ بثيابي حتى أجيئ، ومضى إلى صاحب الشرطة، وقال: إني ظفرت بقوم زنادقة يقرأون القرآن على صياح الديك. فما شعر القوم حتى هجم عليهم الشرطة فأخذوهم وأحضروهم مجلس صاحب الشرطة، فسألهم فتقدم السجستاني إليه وأعلمه بالخبر، وقد اجتمع خلق من خلق الله ينظرون ما يكون، فعنفنه وعذله، وقال: مثلك يطلق لسانه عند العامة بمثل هذا! وعمد إلى أصحابه فضربهم عشرة عشرة، وقال: لا تعودوا إلى مثل هذا.

وأصل هذا الفعل(وقى) ومضارعه(يقي) حذفت منه الواو اطرادًا لوقوعها بين ياء وكسرة، أما الأمر منه فهو صيغة مقتطعة من المضارع المجزوم(يق) وذلك بحذف ياء المضارعة فينتج الأمر

---

* صحيفة اليوم ٢٠ جمادى الأولى ١٤٢٢هـ عدد١٠٢٨٣.

(ق). ومن عبر هذه الحكاية العاجلة مصداق الحكمة التي تقول: الناس أعداء ما جهلوا، وإن من الخطر الإفصاح عن مكنون العقول في محضر العامة التي ليس لها من سعة العلم ولا من رحابة الصدر وسماحة الخاطر ما يؤهلها لاستقبال الجديد والغريب وما لم تألفه نفوسهم وتعتاده طبائعهم، وهذه كانت معضلة المبشرين وأصحاب الاكتشافات والاختراعات الذين هلك طائفة منهم بجهل المحيطين بهم والمقتدرين عليهم.

بين يدي قاض*

ذكر ابن عبد ربه في العقد الفريد هذه الحكاية:"وقال رجل لشريح: ما تقول في رجل مات وترك أبيه وأخيه، فقال له: أباه وأخاه، فقال: فكم لأباه وأخاه؟ قال: لأبيه وأخيه، قال: أنت علمتني فما أصنع؟". هذا الرجل قد أشغلته مسألة الفريضة عن تجويد لغته، والقاضي معني بأمور الفقه والعلم واللغة يذود عن هذا وهذا؛ فأصلح للرجل خطأه ولكن الرجل لم يدرك العلة الكامنة وراء الخطأ، ولا العلة التي من أجلها رد إلى الصواب، وغاب عن علمه أن اختلاف الاعتبارات يؤدي إلى اختلاف العبارات؛ ولذلك أنكر أن يكون قد

* صحيفة اليوم ٢٩ربيع الآخر ١٤٢٢هـ عدد١٠٢٦٢.

عمل بما وجه به فلم يقبل منه، والمشكلة أن الرجل لا يعلم أنه وجب أن يقول (أباه وأخاه) لأن الموضع موضع نصب فالأول مفعول به والثاني معطوف عليه، وأنه وجب عليه في الجملة الأخرى أن يقول(لأبيه وأخيه)؛ لأن الموضع موضع جر فالأول مجرور باللام والثاني معطوف عليه. وقد يظن أن هذا مما وضع للتعليم؛ ولكن ما نصادفه من روايات معاصرة مشابهة له تحمل على تصديقه، ومما روي عن المعاصرين ما حدث في مجلس الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله، قيل: جلس إليه أحد الطلاب الأفارقة يريد أن يشرح للشيخ ضعف أحوال الطلبة وحاجتهم إلى معونة الشيخ فقال له: يا شيخ نحن ما لنا إلا أنت. فقاطعه الشيخ قائلا:الله. أراده الشيخ أن يصحح عبارته؛ فقال الطالب: ما لنا إلا الله وأنت. فقاطعه الشيخ قائلا: ثم، ثم. أراده أن يصحح حرف العطف. فارتبك الطالب فقال: ما لنا إلا أنت ثم الله.

أسماء الناس

بين الأشجار والثمار*

تستدعي الألفاظ دلالاتها إلى الذهن. ولكن أنحن سواء في تصورنا لتلك الدلالات؟ اللغة اصطلاحية على القول الراجح؛ ولكن ما يرتبط في أذهاننا قد يختلف من شخص إلى آخر وهو اختلاف يتعدى المشترك مما اصطلح عليه، ولذلك تنشأ الأوهام وقد يتندر بعضنا بسبب فهمه الخاص للفظ من الألفاظ. من ذلك أسماء الناس المنقولة من أسماء الأشجار والثمار. فالاسم (موزة) قد يثير تندر من يسبق إلى ذهنه أنه الثمرة المعقوفة؛ ولكنه سيكون مفهومًا عند من يرتبط في ذهنه بالشجرة،وأنه إنما سمي بها للدونتها وتثنيها. أما تفاحة فليس من ميزة للشجرة يتسمى بها بل الميزة للثمرة بحلاوتها وحسن منظرها. ولذلك كانت بالإناث أليق، فلست تصادف من سمي من الرجال تفاحة أو خوخة. ولكن تجد من الذكور من يسمى حنظلة لأن مرارة الحنظل مطلوبة لمعناه المراد به أن يخيف أعداءه. والعرب قالت: أسماءُنا لأعداءِنا وأسماء عبيدنا لنا. وليست الفواكه سواء في التسمية فلئن وجدت تفاحة أو رمانة يكثر التسمي بها فلست بواجد عنبة على حلاوتها، أما برتقالة أو أترجة أو ليمونة فهي

---

* صحيفة اليوم ٢٧ شوال ١٤٢٢هـ عدد١٠٤٣٧.

حوامض لا تناسب معنى الأنوثة ولكن الذكور لم تسمى بها، أما الأشجار فلئن روعي في الموزة والبانة واللينة لينها وتثنيها فمنها ما يناسب شدة الذكور فسمي به كنخلة وسمرة وطلحة وقتادة. وكل أسماء الأشجار أو الثمار صالحة لأن يتسمى بها الذكور والإناث دون تمييز ولكن المعول في ذلك على الاصطلاح.

أسماء مصغرة*

الوعيل والصويغ والعصيل أسماء تراها وأنت تتصفح جريدة اليوم. ولأنها أسماء نفوس كبيرة، تغفل عن أنها مثل طائفة كبيرة من الأسماء صيغت صياغة مصغرة لأسباب مختلفة منها تمليح أسماء الصغار. ولكنا عند التأمل ندرك أن اللغة تتأثر بأحوال أهلها؛ وهكذا كان أمر التصغير في لهجات أهل الجزيرة في العهد القريب؛ ذلك أن بلادنا في وقت من الأوقات كانت تعاني من شحاحة الموارد ويعاني أهلها شظف العيش ويرنقهم الكسب؛ فكانت الأشياء من حولهم على قلتها عزيزة ضئيلة الشأن صغيرة القيمة؛ من أجل ذلك شاع التصغير في لغتهم حتى تكاد لا تسمع منهم اسم شيء من الأشياء حولهم إلا مصغرًا فهذا بييت وهذه دويرة وهذا بويب، وكذلك تسموا بأسماء مصغرة فتجد الشيخ الهرم واسمه مصغر، فمنهم صويلح وعثيمين

* صحيفة اليوم ١٦ربيع الأول ١٤٢٢هـ عدد١٠٢٢٠.

ومحيميد وعبيد وفطيمة ونويرة. وإن يكن تصغير أسماء الناس مرد بعضه إلى إرادة التمليح والتحبب للصغير فإن تصغير أسماء الأشياء مرده ما وصفت لك من وقوعها في النفس موقع القليل الصغير. وإن تكن الأحوال المعيشية وراء ذلك في عهد قريب مضى فإن ما نعيشه من رخاء نحسد عليه ويقتضي منا الرعاية، قد باعد بيننا وبين التصغير حتى بات طلاب المدارس لا يحسنون تصغير أسماء الأشياء فهم لا يسمعون ذلك التصغير؛ ولكن الأحوال من طبيعتها التغير والله نسأل أن يحفظ علينا ما نحن فيه فلا يردنا إلى وضع نصغر في الأشياء مرة أخرى كما فعل أجدادنا.

أسماء صعبة*

أعلم أنك عزيزي القارئ تدرك أن لكل اسم عربي الأصل معنى، فهل تعرف معاني هذه الأسماء:المويشز، باصان، بجيزان، بخروش، بركس، بريلف، بريميس، بريوش، بريوف، بريوق؟ إن قلت لا تعلم فأقول لك ولا أنا أعلم. لقد اكتشفت وأنا أشارك في إعداد موسوعة السلطان قابوس لأسماء العرب بصفتي خبيرًا عن المملكة العربية السعودية أن بلادنا زاخرة بكثير من الأسماء النوعية. وكان أملي أن تظهر كل تلك الأسماء في الموسوعة؛ ولكن بعد مراجعة

* صحيفة اليوم ٢٣ربيع الأول ١٤٢٢ه عدد١٠٢٢٧.

النسخة المنشورة رأيت أن أعدادًا كبيرة من الأسماء غير مذكورة. ومنذ ذلك الحين بدأت بإعداد معجم يضم أسماء الناس في المملكة العربية السعودية. وهو معجم يهتم بتفسيرها تفسيرًا لغويًا دون الخوض في التفاصيل التي ألزمت الموسوعة نفسها به. ولما بدأت بالعمل وقطعت فيه شوطًا بدأت تواجهني أسماء صعبة المعنى فلا أنا أجد لها معنى في المعجمات اللغوية ولا أنا أعرف لها معنى في لهجاتنا. ولئن كان أمر المعجمات ميسورًا مبذولا فإن أمر اللهجات هو الأمر الذي أعترف بتقصيري فيه وضعفي عن تحصيله. وقد يهون الأمر لو كانت هذه الأسماء قليلة؛ ولكنها تؤلف قائمة طويلة بحاجة إلى تظافر جهود الناس لمحاولة تفسيرها إن أمكن ذلك. فالاسم (كديميس) جاء على صيغة التصغير أي هو تصغير كدموس أو كدميس أو كدماس؛ ولكن ما هو الكدموس أله علاقة بالكدم أو الكدس. ومثله الاسم (حبيليص) فهو مصغر حبلوص أو حبلاص؛ ولكن ما الحبلوص أو الحبلاص؟

أي عربية هذه؟

خلط العربية بأجنبية

حين ينال الضعف من أمة ينال مظاهرها ويورث الوهن في خصائصها. ترى الأمر واضحًا كل الوضوح في أمتنا العربية التي نالت الازدواجية اللغوية منها مقتلا.

لا تكاد تستمع إلى متحدث أو تحاور مثقفًا أو تناقش متعلمًا إلا استمعت من لغته ما يبعث على الغثاثة مما تعافه نفسك وتوشك لولا الحياء أن تزورّ عنه. فلست تسمع منهم إلا خليطًا من العربية والأجنبية حتى ترى المتحدث يزاوج بينهما دون حياء أو اكتراث؛ بل صار هذا أمرًا طبيعيًا يصدمك به الصغير قبل الكبير، وأصبح للألفاظ الأجنبية من الإلف والمحبة ما جعلها أوقع في الآذان حتى رأيت من ينادي بأفضلية لفظ (الكمبيوتر) على الحاسوب، و(الموبايل) على (الجوال). وأنت تجيل طرفك في شوارعنا فتقتحمك أسماء لوحات الإعلانات وأسماء المحلات التجارية، فإذا أنت تأملتها وجدت منها ما هو أجنبي اللغة غير أنه كتب بحروف عربية مثل: (يورومارشيه)، ومنها ما زاوج بين لفظين أحدهما عربي وآخر أجنبي مثل (العليا مول). ومنها ما هو تأثر بلهجة عربية هبطت من سماء الفضائيات فلاكتها الألسنة ورفعتها اللوحات، مثل: (إلك).

* * *

قبيل الثورة العربية حاولت الدولة العثمانية أن تتــرك(تجعلــه تركيًّا) العالم العربي، فحالت دون تعليم العربية من جهــة وعملــت على نشر اللغة التركية من جهة أخرى، ولعل هذا كــان مــن بــين العوامل التي أدت إلى الثورة العربية والتحالف مع الدول الأوربيــة التي ما أن نالت من العرب وطرها حتى قلبت لهم ظهــر المجــن، فتقاسمت أرضهم وعملت على نشر لغاتها فيهم أمــدًا مــن الــدهر. وخرج العرب بعد سلسلة من الصراع مع المستعمر دويلات متفرقة وما زالت كذلك إلى يومنا الحاضر.

ارتبطت العربية في أذهان أهلها بعد عصور الانحطاط وتتابع التردي الحضاري والاجتماعي بهذا التخلف حتى توهموا أن البقــاء عليها بقاء في غيابة التخلف والتمسك بها نكــوص إلــى الماضــي وإحجام عن التمدن والتحضر.

وإنك إن تأملت من تلوك ألسنتهم عربية مازجتها لغة أجنبيــة أنهم ليسوا سواء، فمنهم من كان طريق تعلمه البعثــة إلــى الــبلاد الأجنبية فتشكلت معارفه بلغة غير عربية وصارت مهاراته منطلقها تلك اللغة الأجنبية التي لا يحسن التفكير إلا بها ولا يحسن التعبير إلا بها، فلما عاد إلى أرض قومه واجه مجتمعــه واقتــضاه الأمــر أن يتحدث لغة مجتمعه الذي إليه ينتمي ومن أجله كان طلبه العلم فحاول

ما وسعته الحيلة أن يعبر عن نفسه بلغة عربية ولكن فكره إلى الأجنبية نزاع وأفكاره أسرى مصطلحاتها فأنت تراه متى حزبه الأمر واشتد به المقام فزع إلى تلك اللغة يستنجد بها لأنه لا يعرف سواها يفي بأغراضه ويؤدي عنه ما أراد من المعنى. وثمة طائفة أخرى لم تعرف الابتعاث ولكنها شدت شيئًا من اللغة الأجنبية في البلاد ورأت أن المتحدثين اللغة الأجنبية لهم من الألق ما يبهرهم ولهم من التقدمة ما يثيرهم وارتبط تعلم الأجنبية بمستوى من الثقافة المتميزة، من أجل ذلك تراهم يتكلفون دس كلمات في سياق أحاديثهم ويقحمون المصطلحات بفجاجة في ثنايا خطابهم. ولم يسلم الكتاب من هذه الآفة إذ شهدنا نفرًا من علماء اللغة والأدب الذين قدموا من الغرب يؤلفون الكتب والأبحاث ويستخدمون مصطلحات أجنبية وهم إن عربوها حرصوا على إردافها بالمصطلح الأجنبي إشعارًا بمقصدهم وتنبيهًا على ما يريدون من مصطلح معرب، ثم رأى بعض الجهلة من الباحثين صنيعهم فظنوا أن إقحام الكلمات الأجنبية بخطها الأجنبي لازمة من لوازم الأبحاث الرصينة فتراهم يطرزون كتبهم العربية شكلا ومضمونا بترجمات للمصطلحات العربية، من ذلك نحويّ كتب كتابًا في النحو العربي فراح يترجم أبواب النحو فرأيته أمام باب (كان وأخواتها) يكتب KANA AND HER SISTERS

وقد ملأ كتابه بمثل هذا.

وحين أفاء الله على هذه البلاد بخيرات أرضها توافدت عليها حشود من الأجانب الذين وجدوا أنفسهم مضطرين لمخاطبة أهل البلاد فتراهم يرتضخون عربية مكسرة يجبرونها بما ثقفوه من لغات أجنبية وراح أهل البلاد يخاطبونهم بمثل خطابهم فعم الفساد وزاد البلاء.

إن أسوأ ما يمكن أن تصاب به خصوصيات أمة أن تفقد غيرة أبنائها، وهذه حال العربية اليوم فهي واقعة بين كاره لها لأنه يستصعبها وتارك لها لأنه لا يحس الانتماء لها ولا يعنيه من أمرها شيء.

وما استخدام الكلمات الأجنبية من مصطلحات وغير مصطلحات إلا نخر في عظم العربية وتشويه لهوية الأمة. وإن من الجهالة التي ليس فوقها جهالة أن يتوهم متوهم أن ليس من واجبه الدفاع عن العربية وأن هذه اللغة إنما هي ملك لعلماء اللغة والأدباء والمشتغلين بعلوم الفقه والعقيدة والشريعة. وإن من الأمور التي لا ينتهي منها العجب أنك تراه لا يأبه للخطأ بلغته إن أدركه ولكنه يتحسر لخطأ ارتكبه باللغة الأجنبية.

ولسائل أن يسأل ما الذي مكن للغة الأجنبية حتى صارت

تزاحم العربية وتشاركها في ألسنة أهلها. وأول ما يخطر على البال التعليم باللغة الأجنبية وهو تعليم يضرب بجرانه على جامعاتنا. وهو أمر طالما ألححنا في الكتابة بشأنه ولكن المدافعين عنه لهم من السطوة ما يفل أسلحة دعاة العربية. وهم يحتجون بحجج باطلة وعلل أوهى من بيت العنكبوت من مثل أن العربية غير قادرة بمصطلحاتها على الوفاء بمقتضيات التعليم، وإنها لحجة مدحوضة بما نشهده من أمر اللغات الأخرى، فهذه اللغة العبرية نشرها اليهود من قبرها حتى صارت لغة علم وتقانة فما يعيب العربية وهي التي استمدت العبرية منها نحوها وصرفها. أولم تكن العربية لغة الطب والفلسفة والبصريات؟

وإن مما مكن للأجنبية في بلادنا جعلها لغة مستشفياتنا ومطاراتنا وشركاتنا وبنوكنا. أليس من العجيب أن تعمد شركة (أرامكو) إلى إنشاء وحدتين للترجمة فيها لأنها لا تخاطب أحدًا إلا بالعربية وتترجم الخطابات العربية إلى الإنجليزية؟ أقول أليس عجيبًا هذا في حين لا تأبه لفعل هذا ما ذكرناه من شركات أو بنوك أو مشاف أو فنادق.

وإن الإنسان أسير لعاداته فمتى تعود لفظًا جرى على لسانه دون شعور بخطئه. أصبحت (O.K.) لازمة من لوازم الحديث نتلفظ

بها دون شعور منا بما نفعل. إنها جملة من العادات السيئة التي ينبغي للمجتمع أن يكون صادق النية في تطهير نفسه منها، ولكن أين مني المهتم والغيور والمشفق على مصير أمته.

ومن أسباب تمكين الأجنبية ما ذكره المهندس محمد الخميس المتخصص بالحواسيب وعلومها وهو رجل لم تصرفه ثقافته الأجنبية وإتقانه الإنجليزية عن الوفاء للغته، قرأت له مقالا رائعًا لعله في طريقه للنشر يحمل فيه على الشركات التي تشترط في التوظيف إتقان اللغة الإنجليزية وإن يكن مجال عملها ومعظم وظائفها بعيدًا كل البعد عن تلك اللغة. وما أيسر أن يعين من يترجم له ما يحتاج فيه إلى لغة أجنبية.

قد يجادل مجادل بأن للغة الأجنبية حاجة ماسة فأقول نعم ليس في هذا نزاع، إنما النزاع في كيف يكون مأخذ الأهمية وكيف يكون الوفاء بمقتضاه. إنها مسألة كيفيات. لا أمنع الأجنبية ولكني أمنع سيطرتها ومنازعتها لغة الأمة وتنحيتها إلى مجالات ضيقة ليست مجالات حياة الناس وميدان اضطرابهم، وهو أمر سيجعل العربية نافلة إن لم تكن الآن نافلة.

فكيف السبيل إلى تنقية لغة الخطاب من هذه الهجنة وإقامة ما في الألسنة من اعوجاج؟ والسؤال مهم والجواب صعب، فهو قدر

أمة برمتها فإن لم تتضافر الجهود في هذا السبيل لن نصل إلى شيء من مرادنا، الواجب جمعي وهو فرض عين على كل فرد. فعلى إمام المسجد أن ينبه في خطبه إلى أن إقامة لغة القرآن واجب ديني، وعلى المربي أن يزرع في ذهن المتلقي حب لغته ويقوي شخصيته ويعوده الاعتزاز الصحيح المبني على الحقائق. وعلى التعليم العالي أن يجدّ في تعريب العلوم، وأن تكلف الشركات والمؤسسات والبنوك والمشافي باعتماد العربية لغة تخاطب ومعاملات. أما العاملون الأجانب فيمكن أن تعقد لهم دورات تعليم للعربية وأحسبهم إليها سيوفضون. قد أقول من الأمور ما هي أحلام أو كالأحلام؛ ولكن ليس على الله عزيز، وإن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم. وإن الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن.

المسافة بين الفصحى والعامية*

طالما سئلت عن كلمة أو أخرى أهي عربية؟ ويقصد السائل أهي فصيحة. والمشكلة في أذهان الناس متعلقة بمفهوم الفصاحة؛ إذ هو في أذهان الناس اللغة العربية التى يصادفونها في كتب التراث وهي اللغة المعربة. ويظن كثير من الناس أن العامية منبتة صلتها بالفصحى. والأمر ليس كذلك. فمن المعلوم أن لهجات الجزيرة العربية قديمة قدم اللغة الفصيحة إن لم تكن سابقة عليها. واللهجات اليوم زاخرة بألفاظ ليست في المعاجم. فهل نعدها عربية أم نهملها وننكفئ على ما في بطون المعاجم وكتب اللغة؟ والحق الذي لا مرية فيه عندي أن المسافة بين اللهجات والعربية الفصيحة ليست واسعة كل السعة فمعجم اللهجات في معظمه موروث وأما ما فيه من دخيل فشأنه شأن الدخيل في الفصيحة أيضًا. وكثير من أنظمة الفصيحة نجده في اللهجات. وأما أوضح مظاهر الاختلاف فهو ترك الإعراب في اللهجات لاستعاضتها عن دلالته بدوال أخرى مثل تقديم الفاعل، ومثل المحافظة على الرتبة. وأما الكلمات التي لا نجدها في معاجمنا فمن حقنا –أصحاب اللغة– أن نستعملها ونستفيد منها ما لم تصادم

* صحيفة اليوم ١٨ رجب ١٤٢٢هـ عدد١٠٢٣٩.

أصلا لغويًا؛ ولا شك أن حاجة الناس وهم أصحاب لغة دعتهم إلى توليد كلمات تفي بأغراض تواصلهم. وإن من واجبنا اليوم إن كان متعذرًا علينا استعمال الفصحى في حياتنا اليومية أن نقارب بين المستويين الفصيح واللهجي، ويكون ذلك بالتخير في فصحانا والارتقاء بعامياتنا على خصوصياتها الضيقة.

التراث الشعبي

تراث في مهب الريح*

ليست بلادنا مصايد للنفط والمياه الجوفية فقط؛ بل على سطحها من الكنوز الثابتة والمتحركة ما يقتضي منا الاكتشاف والمحافظة عليه. ليست بلادنا بيئات جغرافية فقط بل هي بيئات ثقافية ذات عمق تاريخي مديد. لهجاتنا المحلية لهجات عربية أصيلة زاخرة بالمفردات المعبرت والموحية عن تفاصيل الحياة المحيطة بابن هذه البيئة. وهي ألفاظ لا نجدها في المعجمات العربية التي مضى على إنجازها سنوات طويلة. ومن واجبنا اليوم ضم هذه الألفاظ إلى المعجم العربي فهي عربية الجذور والبنية والدلالة، لا تختلف بذلك عن الألفاظ المعجمية الأخرى. ومنها ألفاظ تغيرت مضامينها بتغير الحياة المعبرة عنها فيحسن أن يرصد لها هذا التغير. وإلى الألفاظ اللغوية ثمّ كم هائل من الأمثال والكنايات والحكايات الخيالي منها(سباحين) والحقيقي(سواليف). كل ذلك تزخر به بلادنا؛ ولكن عجلة التغير تأتي على كل شيء. وهذه الكنوز اليوم في مهب ريح التغير الذي يعصف بالهوية ويصيح بالخصوصية ويفرض ثقافات دخيلة ذات مضامين عجيبة تختلف عن مسلماتنا المستمدة من الدين والعادات العربية.

---

* صحيفة اليوم ٨ رمضان ١٤٢٢هـ عدد١٠٣٨٨.

وإنه من الواجب علينا أن ننشط لحفظ هذه الكنوز اللفظية التي سوف تنسى بسرعة إن لم نبادر إلى تدوينها لنعود إليها متى أردنا ولتعود إليها الأجيال اللاحقة. وهذا الأمر ليس بطاقة الأفراد؛ فعملهم مهما بلغ أمره مفلول معرض للنقص والتخرم والكلال. من أجل ذلك لابد من أن تتصدى له مؤسسة ثقافية جادة تضع الأهداف السليمة وترسم الخطط الدقيقة وتهيئ الوسائل الكفيلة بإنجاز المهمة.

النمل في الأمثال*

تعبر أمثالنا الشعبية عن معرفة الناس بالبيئة الحيوية المحيطة معرفة دقيقة حتى صارت مفرداتها مضرب تلك الأمثال. ومن ذلك النمل الذي يعرف الناسُ منه أنوعا مختلف الحجوم والألوان. وهم يطلقون على الصغار منه البني (الذر) والمفرد (ذرة)، والمتوسط الحجم الأسود اللون يسمى (النمل) وأما الكبير الذي منه الأسود ومنه البني المختلط بالسواد فذلك يسمى (القعر) [بفتح العين] والواحد (قعرة). ولما كان النمل يعيش في مجتمعات لوحظت كثرته فقالوا في المثل (أكثر من النمل). وتتصف النملة بحاسة شم قوية؛ ولذلك قالوا في المثل القوي الشم (أنشى من الذرة) أي هو أشد نشوة وشما منها. ولذلك تعتمد النملة في سيرها على استنشاء الرائحة فهي تهتدي بها،

* صحيفة اليوم ٢٦ ربيع الآخر ١٤٢٣هـ عدد١٠٦١٤.

ويتابع بعضها بعضا على خط علامته الرائحة؛ لذا قالوا (ذرة تتبع الدسم). ولما كان الذر أصغر النمل ضرب به المثل في الضآلة وضرب بمن لا يترفع عن شيء بقولهم (يحلب الذر). وعلى الرغم من حرص الذرة وقلة ما تحتاج فإن مؤونة الأولاد مكلفة حتى قالوا في المثل (ما تشبع ذرة لها عيال)، وكل ما تجمعه النمل إنما يكون بمقادير صغيرة وبطول أمد وبذا يضرب المثل لما كان جمعه كذلك قالو (حلال نملة) أي ملك نملة. والمسائل نسبية فمال النملة الذي تجمعه في سنة لن يكون شيئا عند كائن كبير كالجمل وهذه أحوال الناس أيضا منهم من ماله الذي جمعه في سنين لا يوازي شيئا يذكر عند غيره وربما ضيع في لحظات قالوا في الأمثال (تجمع النمل وياكل الجمل). والنمل له عضات مؤلمة ومؤذية لا يصبر عليها إلا الصبور؛ ولذلك قالوا عنه (يبرك على النمال). ويضرب لشدة التعذيب الحقيقي أو المعنوي قولهم (ذبحه على بيت نملة) إذ النمل مما يوصف بأنها من منظفات البيئة فهي تستأصل الحيوان وتنتفه إلى أجزاء صغيرة. ويتصف النمل بالصبر والإصرار فالقعرة من كبار النمل لا تستجيب للطرد متى اعترضت طريقها بل تصر عليه وتمضي إلى فضلات الطعام دون تردد أو كراهة فضرب بها المثل لمن لدنيء النفس، فقالوا (نفس قعره). ولذلك تراهم يكرهون النمل

وينصحون بحماية الطعام منها والخوف من أكلها بطعامهم. وبلغت كراهيتهم الذر أن توهموا أنه يسبب العقم أو قطع الذرية، فقالوا (الذر يقطع الذر) والذر الثانية بكسر الذال. وكل أصناف الحيوان والنبات كان موضع خبرتهم المسجلة في أمثالهم.

جحا النجدي*

جحا من أكثر الشخصيات الشعبية شهرة حتى لقد تعددت الكتب التي تجمع أخباره أو تدرس شخصيته أو شخصياته، إذ يبدو أن له في كل مكان شخصية مختلفة. أما في نجد فيسمى (جحه) بتسكين الجيم وفتح الحاء فتحة ممالة. أما عند البادية فهو(جحا) بفتح الجيم والحاء. وتختلف صورته في الأخبار الشعبية النجدية وفي أمثالهم عن صورته في البلاد الأخرى، فهو في نجد ابن أحد القضاة وكان ذكيًا متعلمًا ولكنه تجنب أن يلي القضاء ورعا وعملا بنصيحة والده فادعى الجنون واتخذ له حصانا من جريد النخل يمتطيه أينما ذهب فالتف حوله الصبيان حتى صار الناس يطلقون عليهم (جحه ودولته)، ولكنه كان يقضي بين الناس بطريق غير مباشرة. ومن أخباره أنه أراد أن يقدم التمر لأصحابه فرفضت أمه مدعية أنه للبدو، فخرج

---

* صحيفة اليوم ١٩ ربيع الآخر ١٤٢٣هـ عدد١٠٦٠٧.

يصيح بهم: يا بدو خوذوا خصفكم[١] ضيق علينا، فلما صار بحـوزة البدو صارحته أمه بالحقيقة. فكان عليه أن يعيده إليها، فلمـا صـار المساء دفن نفسه في موضع طبخ البدو وأخرج رأسه، فلما جـاءت البدوية لتطبخ تناولت رأسه تظنه صخرة لتضع عليها القدر، فـصاح (أنا جحه ولد علي تحسبوني في الظلام منصبه) ففزع البدو وهربوا من مكانهم حسبوه جنيا، وهم يخافون الجن حتى قيل في المثل (جني بدوي) وقد ذهب قول جحا مثلا. ومن أخباره أن أحدهم وعد شـابا بمكافأة إن سبح في البئر في ليلة قارسة البرودة، فسبح الشاب وظلت أمه توقد سعفًا حول البئر تحسب أنها تنفع ابنها بـذلك، فلمـا كـان الصبح رفض الرجل أن يكافئ الشاب زاعما أن أمه سخنت له مـاء البئر. فاشتكت المرأة أمره إلى جحا فذهب هو وأصحابه إلى الرجل الذي استقبلهم خير استقبال وأعطاهم لحما ليطبخوه لغدائهم فوضـعه جحا في الإناء وأوقد النار في مكان بعيد عن القدر وكان بين الحين والآخر يبعث أحد أصحابه ليطمئن على نـضوج اللحـم، والرجـل يراقبه ويتعجب من فعله؛ ولكنه لم يصبر فمضى إليه وقال إنك لابد أن تضع القدر فوق النار لأنها لا تسخن الماء على البعد. فقال جحا

---

١) الخصف اسم جنس جمعي مفرده خصفة وهي حقيبة من الخوص أو الليف أو الجلد يكنز بها التمر.

فكيف سخنت العجوز ماء البئر فأدرك الرجل مقصد جحا ودفع المكافأة للشاب.

هذه قصة من قصص نحتاج إلى جمعها والحفاظ عليها؛ ففيها العبرة وفيها ألوان من تفكير أجيال سابقة، وفيها حكايات حلوة وأخرى مرة، ولكنها الحياة بخيرها وشرها.

إن طاع راجح*

أما راجح هذا فكان صبيًا يعمل في بستان أحد الناس بلقمته. وكان هذا في زمن الفاقة والشحاحة التي اتسمت بها الحياة في نجد في زمن مضى قبل أن تقبل الدنيا على أهلها. وكان يقضي يومه وشطرًا من ليله في عمل دائم لا تفصله سوى الصلوات الخمس. حتى إذا كان موعد الغداء اليسير تحلق القوم عليه يأكلون، فإذا أوشك الطعام أن ينفد صاحوا براجح ليتغدى، فيأتي راكضًا حتى يصيب بعض الفتات الذي لا يكاد يقيم له أودًا. ومع ذلك كله لم يسلم من الوصف بالشره حتى إن صاحب البستان- لما سمع الإمام يحدث دبر صلاة العصر بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم:(ما ملأ آدمي وعاء شرًا من بطن، بحسب ابن آدم أكلات يقمن صلبه؛ فإن كان لا محالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه)- قال: إن طاع

* صحيفة اليوم ٢٧ جمادى الأولى ١٤٢٢هـ عدد١٠٢٩٠.

راجح. فذهب قوله مثلا يردده الناس إلى يومنا هذا.

والمتأمل في هذا الحديث الشريف يتملكه العجب؛ إذ فيه البرنامج الصحي السليم لمن أراد السلامة من غثاثة الطعام وآفة البطنة. وإنك لو استعرضت برامج الحمية التي يتكالب الناس على تحصيلها ويتفانون في تطبيقها يصيب منهم من يصيب ويخطئ منهم من يخطي؛ أقول لو تأملت تلك البرامج لوجدتها تعتمد في أساسها على التقليل من الطعام كما يوصي الحديث بأن يكون ثلث ما تتسع له المعدة، وتعتمد تلك البرامج أو بعضها على الإكثار من الماء، وهذا ما في نص الحديث إذ جعل للماء الثلث كالطعام. وليس هذا هو الحديث الوحيد الذي يفصح عن الكيفية الصحيحة لتناول الطعام.

أخاف انه*

لهجاتنا في الجزيرة العربية هي امتداد للعربية القديمة ومن شواهد ذلك قول أهل القصيم (نجد): أخاف ان زيد جاء. أي أظنه قد جاء. وهذا ما جاء في قصيدة (لامية العرب) للشنفرى أحد أشهر الشعراء الجاهليين، قال:

وفي الأرض منأى للكريم عن الأذى وفيها لمن خاف القلى متحوّل

قال عطاء الله الأزهري:"لمن خاف أي علم أو ظن القلى أي

---

* صحيفة اليوم ٥ ربيع الآخر ١٤٢٣هـ عدد١٠٥٩٣.

البغض" (نهاية الأرب في شرح لاميّة العرب، ص٤١)، ويستعمل أهل نجد الفعل (تقل) أي (تقول) أداة تشبيه بمعنى: مثل. يقولون: مرّت السيارة تقل فشقة، أي: مرت كقذيفة. وقد جاء هذا الاستعمال في الشعر الجاهلي، قال امرؤ القيس:

إذا ما جرى شأوين وابتل عطفه تقول هزيز الريح مرت بأثأب

قال الشارح:"إذا جرى هذا الفرس طلقين وابتل جانبه من العرق سمعت له خفقًا كخفق الريح إذا مرت بأثأب، وهو شجر يشبه الأثل، يشتد صوت الريح فيه"(الشنتمري:١٤٠). ومثله قول الأعشى:

أضافوا إليه فألوى بهم تقول جنونا ولمّا يجن

ومن الأفعال التي انتقلت من معانيها الأصلية إلى أخرى الفعل (قال). يقول أهل نجد: قال به كذا، أي فعل به كذا. ويقولون: قل به كذا، أي افعل به كذا. ويقولون: قل به أي أنجز فعله. وهذا الانتقال قديم فالزمخشري أورده في (أساس البلاغة) قال:"ومن المجاز: قال بيده: أهوى بها، وقال الحائط فسقط:مال". وفي (تهذيب اللغة): "وقال ابن الأعرابي: العرب تقول: قالوا بزيد، أي: قتلوه، وقلنا به أي: قتلناه، وأنشد:

نحن ضربناه على نطابه قلنا به، قلنا به، قلنا به

أي قتلناه". وفي (لسان العرب) لابن منظور:"وقوله في الحديث: فقال

بالماء على يده؛ وفي الحديث الآخر: فقال بيده هكذا، قال ابن الأثير: العرب تجعل القول عبارة عن جميع الأفعال وتطلقه على غير الكلام واللسان فتقول:قال بيده أي أخذ، وقال برجله، أي مشى".

وأرى أن (قال) استخدمت بمعنى (فعل) ثم خرج إلى معان أخر يعين السياق المقالي أو الحالي على فهمها.

ويفتخر الواحد منهم فربما ضرب بطاقيته الأرض قائلا: أنا ابو فلان. وهذا استعمال قديم، جاء في (مجالس العلماء) للزجاجي في مجلس بين اليزيدي والكسائي "فضرب اليزيديّ بقلنسوته الأرض وقال: أنا أبو محمد، الشعر صواب، إنما ابتدأ فقال:المهر مهر، فقال يحيى بن خالد: أتتكنى بحضرة أمير المؤمنين وتكشف رأسك! والله لخطأ الكسائي مع أدبه أحب إلينا من صوابك مع فعلك".

مشلح الجماعة*

يذكر أنه لم يكن في القرية التي ولدت فيها سوى مشلح واحد مشترك بين أهالي القرية، والمشلح هو عباءة رجالية تسمى اليوم بلفظ فارسي هو (البشت) وغلب هذا اللفظ غيره. كان الفقر والعوز من دوافع اشتراك الناس بالمنافع وتبادلها يشد بعضهم بعضًا. وكانت

---

* نشر ضمن موضوع بعنوان الجمعية اللغوية والمشلح، صحيفة اليوم ١٩ ذو الحجة ١٤٢٢هـ عدد١٠٤٨٨.

الطيبة تزين أفئدتهم وتبعث السكينة في نفوسهم. يحكى أن اثنين من أهل قريتنا(نبعة)- ضاحية من ضواحي المذنب- اختلفا على قطعة أرض، فأرادا أن يرفعا أمرهما إلى قاضي المذنب ليفصل بينهما، وتواعدا على المصير إليه في أحد الأيام، ومر أحدهما على صاحبه وهو يعمل في حقله ليمضيا إلى القاضي؛ ولكنه كان مشغولا وأناب صاحبه أن يمضي ليسأل القاضي وحده، ومضى الرجل إلى القاضي، ثم عاد قبيل الظهر ومر على صاحبه ليقول له إن القاضي يقول إن الأرض لك. ومضى في سبيله راضيًا. إن حياة أجدادنا مليئة بالقصص العجيبة والأخبار الغريبة، وإنه من المفيد تسجيل كل ما يخطر بالبال من تلك الروايات لتكون بين يدي الأجيال اللاحقة ليطلعوا على ألوان الحياة السابقة وليعتبروا، ولسنا نفعل إن فعلنا ذلك إلا كما فعل الأقدمون حين سجلوا في كتب التاريخ والأخبار طائفة من الحكايات والأخبار التي هي مثار دهشتنا إلى اليوم. وقد قرأت في جريدة اليوم عن مناداة دارة الملك عبدالعزيز إلى مبادرة الناس إلى تسجيل ما يعرفونه من أخبار وحكايات، وهو أمر جليل إن نشط له الناس واهتموا به على نحو جاد.

* * *

والغريب أن حكاية هذا المشلح لا تنتهي هنا؛ إذ من طريف ما حدث أنني كنت زودت صحيفة اليوم بمجموعة من المقالات القصيرة لتنشر في زاويتي في الصحيفة (مساحة)، ثم رأت هيئة التحرير توسيع تلك الزاوية فقلت لهم اختاروا مقالين وحاولوا الملاءمة بينهما حتى أتمكن من الكتابة، فلما نشرت الصحيفة رأيتهم جمعوا بين موضوعين أحدهما (الجمعية اللغوية) والثاني (مشلح الجماعة) ولم يزيدوا على دمج العنوانين (الجمعية اللغوية ومشلح الجماعة) ونُشر الموضوعان متتابعين بلا فاصل، فقلت في نفسي لعل أحدًا لا يقرأ، أو يلتمس العذر؛ فالصحف حمالة أخطاء، غير أني لقيت زميلي الدكتور تركي بن سهو العتيبي، وهو عضو مجلس إدارة الجمعية اللغوية، وذكر لي أنه قرأ مقالي ورد عليه في (مجلة الدراسات اللغوية)، فأخذت أعتذر عن الخلط الذي وقع، فنفى أن يكون هناك خلط، وقال: إن إشارتك مفهومة جدًا؛ فأنت تقول للناس: إن الانتساب إلى الجمعية اللغوية ينبغي أن يكون جادًا وليس للوجاهة كما يفعل أهل القرية حين يلبسون المشلح فالجمعية ليست مشلحًا للجماعة، فقلت لم يخطر لي هذا على بال.

قراءة عابرة

ذكريات المشعلي

موسوعاتنا

ابن المقرب العيوني

أروع من الشعر

الصوتيات والتجويد

عطر الليل الباقي

شرح الصفّار

أنام ملء جفوني

المطر

الشماسيّة

الفساد والإفساد

المروءة

ذكريات المشعلي*

أسعدني الأستاذ الفاضل عبدالله بن عبدالرحمن الشايع مدير تعليم البنات في محافظة المذنب بكتاب طريف ألفه أحد رواد التعليم والتربية في منطقة القصيم. وهو عبدالله بن سليمان المشعلي. وعنوان الكتاب (ذكريات عن بدء التعليم النظامي بالمذنب). وفي هذا العنوان ذكاء شديد فهو مجرد ذكريات تخرج صاحبها من واجب الاستقصاء. وأما كلمة (النظامي) فتشير إلى وجود تعليم سابق في هذه المحافظة. ولا يكاد أحد من أهالي المذنب يجهل هذا الرجل؛ فقد ترك أثرًا لا ينسى، فكان اسمه يتردد بين حين وآخر بعد مغادرته المذنب.وحين سجلت في المدرسة السعودية كان المشعلي قد غادر ولكنني سمعت عن أخبار شدته وسطوته ما جعله في ذهني الطفولي كائنًا جبارًا يثير الرعب أينما حلّ. ويشاء الله أن يعين رئيسًا للجنة امتحان الشهادة الابتدائية، فركبني من الغم والخوف ما الله به عليم. حتى إذا جاء يوم الامتحان رأيته لأول مرة في حياتي. كان بالنسبة إليّ رجلا طويل القامة بدينًا أسمر اللون غليظ الشفتين. زادتني هذه الصورة خوفًا على خوف. وقف في وسط القاعة يوم الامتحان وبدأ يتحدث فكان حديث أبوة، وطمأننا وهيّأ نفوسنا لاستقبال الامتحان

* صحيفة اليوم ٢٨ربيع الأول ١٤٢٣هـ عدد١٠٥٨٦.

بقبول حسن، ووعدنا بأن يقدم لنا هو وأعضاء اللجنة كل ما نحن بحاجة إليه. نزلت كلماته على نفسي بردًا وسلامًا، وفعلت فيها فعل السحر. استعدت هذه الذكرى وأنا أقرأ كتاب الأستاذ المشعلي الذي يعبر فيه عن حب غامر لهذه الأرض التي أتيح له أن يفتح فيها المدارس، وأن يعلم فيها جيلا من شبابها الذين أصبحوا من دعائم العمل في الدولة. والمتصفح للكتاب يرى أن صاحبه لم يكتف بذكرياته هو بل نقل عن غيره، فخرج بذلك عن حدود الذكريات بل تجده أتى بإحصاءات تعدى الفترة التي كان فيها متصلاً بالمذنب. ومن جهة أخرى أغفل مسائل مهمة هي من ذكرياته بلا شك ويصعب تناسيها. منها أنه أوصى بتعيين بعض النابهين من طلاب المدرسة السعودية ليكونوا رواد تعليم في هذا البلد. من هؤلاء محمد بن سليمان بن رشيد الشمسان، عين معلمًا بعد إتمامه المرحلة الابتدائية، ومنهم عبدالله الحميد، عين معلمًا بعد إكماله السنة الرابعة الابتدائية. ومن الذكريات التي لم يشر إليها أن الدراسة كانت على فترتين صباحية ومسائية. وكنت أود أن لو أشار إلى المعلمين من الأخوة العرب، ومدى معاناتهم وغربتهم واختلاف المجتمع عن مجتمعاتهم، وكيف كانوا يتدبرون أمر حياتهم. ولكني أحسب الكتاب لفتة وفاء من هذا المربي المعلم.

موسوعاتنا*

صدرت في بلادنا مجموعة من الموسوعات الخاصة والعامة. ويحس كثير من الناس بالفخر بمجرد إصدار تلك الموسوعات؛ غير ملتفت للمضمون الذي تحتويه ولا الطريقة التي اتبعت في إعداد تلك الموسوعات. ولعله لا يمايز بينها. أما الذين يطمحون لارتباط اسم هذه البلاد بالإنجازات الثقافية فهم يتمنون أن لو كان العمل في تلك الموسوعات منطلقًا من مسلمات ما تعارف عليه أهل الخبرة في هذا المجال من دقة العمل الميداني القائم على العمل الجماعي المنظم والجهد التراكمي الذي يكفل تحقيق الأهداف المرجوة من هذه الإنجازات الثقافية الموجهة لطائفة كبيرة من القراء. وأن يكفل لهذه الموسوعات كل ما تقتضيه الأمانة العلمية إن من جهة استقصاء المادة أو طريقة عرضها. وإنما ينجح أي مشروع ثقافي متى حقق الهدف الذي رسم له منذ البداية، ولكنه لن يحقق هذا الهدف ما لم تسخر له الأسباب الصحيحة من طرائق علمية وفريق بحث مدرب متفرغ لهذه الأعمال، وما يتصل بذلك من الفنيين المهرة. وكل ذلك بحاجة إلى التخطيط السليم بأن يوضع للعمل خطة زمنية تقريبية لكل

* صحيفة اليوم ١٥ رمضان ١٤٢٢هـ عدد١٠٣٩٥.

مرحلة من مراحله. ولا شك أن تنفيذ مثل هذه الأعمال يحتاج إلى تمويل مالي ضخم لا يمكن أن ينهض به أي فرد، ولا أحسب الجامعات اليوم قادرة على ذلك وهي تنوء بأحمالها. ولعل القطاع الخاص يستطيع بما حباه الله من خير أن يساعد في مثل إنجاز هذه المشروعات إلى جانب الجهات الحكومية المتصلة بمثل هذا من مثل مراكز الأبحاث ورعاية الشباب.

ابن المقرب العيوني*

شاعر من أعظم شعراء العربية قدرا؛ غير أن التاريخ لم ينصفه فلم يذع ذكره في الآفاق كما ذاع غيره من الشعراء الذين لعلهم لا يطاولونه قامة. ولعل ما اتصف به من الترفع منعه من الاختلاف على ذوي السلطان. جاء في مقدمة ديوانه المنشور ولم يك ممن يبغي من الشعرالعطايا، ولا يضع نفسه لشيء من الدنايا، والذي مدح من أهل بيته؛ وأما مدحه لغيرهم فهو أما تعظيما لشأنهم أو اتقاء لشرهم. ولما خرج من الإحساء إلى العراق لم يلق هناك ما يسره، ومكث هناك أشهرا؛ ولكنه لم يعرض لمدح أحد أو توخى منحة أو دنس عرضه بسؤال.

يتصف شعر ابن المقرب بالجزالة التي نعهدها في الشعر العربي القديم. وليس يخلو شعره من غريب اللغة، وهو غريب يمثل مخزون الشاعر اللغوي، وهو أيضا يدل على رغبة في الاستعراض اللغوي نجدها تظهر عند الشعراء في أشكال مختلفة، فمنهم من يميل إلى التعقيد التصويري والمجازي كما يفعل أبوتمام ومنهم من يعقد المعاني ويحير الشراح كما نجد عند المتنبي، ومنهم من يعقد شعره باضطراب عناصر الجملة كما نجد عند الفرزدق، ومنهم من يكثر

* صحيفة اليوم ١١ جمادى الأولى ١٤٢٣هـ عدد١٠٦٢٨.

من الغريب. والولع بالغريب نجده عند شعراء النبط فإن كثيرا من ألفاظ أشعارهم ليس من كلام الناس المتداول ويحتاج إلى شرح. ومن أمثلة أبيات شاعرنا التي جاء فيها غريب قوله:

وقد قربوا للبين كل همرجل   أمون القرى ضخم العثانين تامك
قمطر درفس قيسريّ كأنما   مناكبه جللن وشي الدرانك

والبين هو الفراق والهمرجل السريع من جواد أو بعير، والأمون الموثوق، والقرى الظهر، والعثنون شعيرات تحت الحنك، والتامك العظيم السنام. والقمطر الجمل القوي والدرفس العظيم من الإبل، ومثله القيسريّ، والوشي النقش والدرانك جمع درنوك وهوضرب من الثياب.

ولكنا نجد في القصيدة نفسها جملة من الأبيات الواضحة السهلة من مثل قوله:

أقول لها سرا وقد غاب كاشح   رقيب مقال العاشق المتهالك
لك الخير ما هذا الجفاء وهذه   دياري وأهلي زلفة من ديارك
أترضين قتلي لا بسلة صارم   من البيض إلا سلة من لحاظك
فوالله ما أدري أإعراض بغضة   لنا أو دلال فافصحي عن مقالك

ولقد أدركت مؤسسة سعود البابطين الخيرة أهمية هذا الشاعر ورأت أن من الوفاء له أن تنظم مؤتمرا للشعر باسمه، فلعل ذلك يحيي في الأذهان ما اندرس من ذكر هذا الشاعر. وإن مؤسسة البابطين جديرة بالشكر على جهودها الخيرة في مجال الإبداع.

أروع من الشعر*

أتريد أن تقف على ما هو أجمل من الشعر وأروع من القصائد؟ إنك لتقف أمام القصيدة. وإنك لتقرأها بعضها أو كلها، ثم إنها قد تعجبك أو ترى نفسك تزور عنها، فلا تحس بنبض الحياة فيها. ولكن اقرأها في كتاب نقد وانظر كيف يفتح عينيك على أسرار النظم فيها ويدلك على ملامح الجمال فيها، ويهديك مفاتيح أقفالها ويدعوك لتتنزه في أفيائها. ومثل هذا الصنيع الباهر ما وجدته في كتاب الباحثة المبدعة نسيمة راشد الغيث التي جلت لنا في كتابها (مفردات التكوين في شعر محمد أحمد المشاري) ملامح ذلك التكوين بادئة ببيان ملامح شخصية الشاعر منتقلة إلى ملامح شعرية تمثل الخطوة الأولى لذلك الشاعر، ثم تقفنا على الجوانب الفنية في شعره حين تدرس الشعر والموسيقى وتمضي لدرس العلاقة بين الشعر بوصفه ظاهرة جمعية والقصيدة بوصفها خصوصية شاعر، وتدرس في فصلين مستويات التشكيل عنده وتركز في فصل على سمة من سماته الظاهرة في شعره وهي القومية وما يصاحبها من قلق المصير، وبعد عرض شائق لما يزخر به شعر المشاري تنهي بحثها

* صحيفة اليوم ٢٩ صفر ١٤٢٣هـ عدد١٠٥٥٨.

بما يليق بالباحث من تواضع فتقول "هذا العرض التحليلي لأشعار محمد أحمد المشاري لا يدعي الإحاطة، ولكنه لم يستجب لإغراء الراحة". واقرأ قولها عن الأبيات:

ليس في الفوز لذة العيش لكن *** هي في السعي للوصول إليه
لا تضيق الحياة إلا بفرد *** موقن أن كل شيء لديه
رب ملك لمالك لا يساوي *** كوب ماء يراه بين يديه

"هذه الخاطرة أو النظرة أوشكت أن تسقط في مستوى ثرثرة العامة، فالبيت الأول عن لذة السعي وأنها أعلى أثرًا من الوصول أو الحصول هي قول شائع ينسب لكثير من الكتاب، وكذلك البيت الأخير وهو من حكمة الوعاظ والمعلمين، ولكن الشاعر وضع ميزانه الفلسفي بين المعنيين.... إن البيت الثاني يقوم بدور (مركز الدائرة) الذي يضبط نسبها وعلاقاتها، وإن حركة ذهن المتلقي بين هذه (المحطات) الثلاث ستوجد رابطًا مستخلصًا من المساحات البيضاء، وسيكون المعنى الحكمي الفلسفي ماثلا في السعي لتحقيق هدف هو في ذاته لذة، وضرورة، لأنه الذي يجعلك في صميم الحياة، متوازنًا معها، ولكن حذار أن يتحول هذا الشغف بالفوز هدفًا مجردًا من حضورك الإنساني، إنك ستكتشف خسارتك بعد فوات الأوان، فلعل كوب ماء تفوز به يفضل ثروة تملكها وتعاني العطش". وبهذا تجلت الأبيات.

الصوتيات والتجويد*

يدعو صديقنا الدكتور منصور بن محمد الغامدي العالم المتخصص بالصوتيات في كتابه (الصوتيات العربية) إلى كتابة تجويد القرآن الكريم وفاقا لمنجزات علم الصوتيات الحديث الذي أصبح يعتمد في قياساته على الأجهزة الدقيقة. ويرى الدكتور الغامدي أن من الممكن إجراء دراسات معملية للمقرئين المجازين لقراءة القرآن. ولكن المشكلة التي يجب التنبه إليها أن هؤلاء المجازين ربما أجيزوا لإتقانهم أحكام التجويد المتعارف عليها؛ ولكن ثمة أمورا خفية قد يغفل عنها المجيز، وتلكم هي مخارج الأصوات والصفات الصوتية لكل صوت، فالذي ألاحظه أن بعض القراء يتأثر بالنطق اللهجي، وأنت ربما تجده حريصا على إخراج الصوت إخراجا سليما ولكنه يغفل بعض الأحيان فينطق الصوت دون وعي متأثرا بنطقه اللهجي. راقب إن شئت نطق الواو في مثل (الكافرون) تجد بعض القراء النجديين المجازين ينطقونها ممالة كما تنطق الواو من (يوم) في النطق اللهجي. وراقب إن شئت نطق الجيم في قراءة القراء المجازين من جنوب الحجاز ومن عسير تجد الجيم مشربة

* صحيفة اليوم ١٦ جمادى الآخرة ١٤٢٣هـ عدد١٠٦٦٣.

بصوت الزاي، وراقب إن شئت من القراء المصريين من يعود أصله إلى الصعيد تجد نطقه للجيم ربما خالطه صوت الدال. وراقب بعض القراء من الشام تجد الشين ربما خالطها صوت الجيم على نحو نطق بادية شمال الحجاز.

ويضرب الغامدي مثالا للحاجة إلى دراسة التجويد صوتيا أننا ما نزال نستخدم الحركة في قياس المد، بينما هناك أجهزة عديدة يمكن أن تقيس أمد المد بشكل موضوعي وأكثر دقة. فبذلك نستطيع عند تدريس التجويد القول بأن أمد الحركة ٨٠ مليثانية،مثلا. ويرى الغامدي أن هذا ينطبق على بقية أحكام التجويد، فهناك أجهزة متعددة، يمكن أن تعطي قياسات دقيقة لكل حكم من أحكام التجويد. وما يقوله الغامدي صحيح جدا على المستوى النظري؛ فالقراءة بصفتها نشاط صوتي يمكن دراستها بدقة ويمكن رصد تلك الدراسة. ولكن على المستوى التطبيقي قد أتوقف في مثل ذلك؛ فالتلقي الشفاهي قديم جدا ولم يكن بحاجة إلى هذه الدقة. بل أعتقد أن مثل ذلك صعب على المتلقي فهو قد يضبط الحركات بشكل تقريبي. والمراد في المد إظهاره بشكل تقريبي يرتاح إليه السامع. ولو أنك أجريت القياس للقارئ في كل مرة يمد فيها الألف لوجدته يختلف في ذلك. فليس باستطاعة الإنسان أن يكرر الصوت مرتين متماثلتين تمثلا تاما، ولكن الأذن تهمل الفرق الدقيق لأنها لا تدركه إدراك الأجهزة.

عطر الليل الباقي

بلغة تزوي لك واقعية المضمون ورمزية العبارة. وبروح تتسامى فوق النكبات متطلعة إلى أفق أبعد وغد أجمل. بهذا سطرت الأديبة المبدعة ليلى محمد صالح مجموعتها القصصية المؤلفة من ثماني قصص قصيرة. أما اثنتان منهما فمن وحي نكبة الكويت بالأهل والجار نكبة أجادت تصويرها ببراعة فائقة حين جمعت في (سقوط القمر) بين صورتين متناقضتين صورة امرأة رقيقة حالمة تناجي القمر وصورة صنبور الدماء لحكمة ذبيحة نزفت على لوحة الوطن. وسقوط القمر' رمز لسقوط كل أحلام العرب بالوحدة والعيش بسلام. أما الثانية فهي حديث عن قمر آخر (شموخ قمر العارضية) وفيه تصوير لهول ما وقع لمبارك النوت أمام أهله وأهل حيه لا لشيء سوى أنه لم يرض بالذل والهوان "يغيب يغيب في تبر تراب المجد يولد من جديد نجم مضيء بارق لن يموت". وتلامس الكاتبة بشفافية في قصصها الأخرى موضوعات اجتماعية فتحيلها فنًا يأخذ بلب قارئه ففي (الليل الباقي) تصوير معزية تعزي بمن كان فارس أحلامها لكن حرمت منه وتختم الكاتبة قصتها بإخراج بطلتها من أزمتها. وفي (الذي قد كان.. كان) تصوير لمشاعر من يتزوج

أخرى وقلبه معلق بالأولى حتى ليقع الخلاف بين الزوجين ولكن في النهاية تبزغ شمس صغيرة فتكون الخاتمة المريحة لأبطال القصة. وتصورفي (الصورة المعلقة) حرقة فقد العزيز فالبنت ظلت أسيرة صورة أمها التي اختطفها الموت منها ولكن في النهاية نراها تزيح الستارة في الغرفة وتملأ رئتيها بهواء البنفسج وتمتلئ بابتسامة متوهجة. وتطرق في (للوظيفة أبواب) مشكلة معاناة الشباب في العمل إذ يشقى الشاب في سبيل وظيفة حكومية حتى إذا بلغ اليأس منه مبلغه أتاه الفرج بقبوله في وظيفة في شركة. وأما (الزواج ولكن) فهي مشكلة أحد الزوجين حين يرتبط بشريك له أبناء فهو يحس بالغيرة، ولكن الكاتبة تنهي القصة بنهاية سعيدة إذ يتفهم الآخر الوضع ويتقبله بحب:"كم أحبك يا وفاء وأحب أمك الرائعة". وتصور القاصة في (للسفر لون آخر) معاناة الإعاقة فالتي كانت تتطلع للسفر أصيبت في حادث ولكن لا يخلو الأمر من السعادة "من البعيد القريب يأتي إليها.. تبتسم بذهول.. يتوارى شحوبها بالبهاء.. حين تراه يعزف على الباب نغمات الدخول".

شرح الصفّار*

سعد المهتمون بالعربية ونحوها بنشر كتاب شرح الصفار. وهو شرح من أهم شروح كتاب سيبويه بعد شرحي السيرافي والرماني. أما شرح السيرافي فله فضل بسط عبارة الكتاب وله أهمية نابعة من قربه الزمني من لغة الكتاب، أما شرح الرماني فهو معالجة فكرية فلسفية للظواهر النحوية والتصريفية. ويأتي شرح الصفار في وقت تشعبت فيه الآراء النحوية وأخذت مداها في تفسير الظواهر؛ ولذلك لا يكتفي الصفار ببسط عبارة سيبويه بل يزوي للقارئ جملة ما في الظّاهرة من آراء، وهو بهذا قد أعدّ موسوعة نحوية للعربية معتمدة في أساسها على الكتاب محتملة مع ذلك جهود أعلام النحو العربي. وقد قيض الله لهذا الشرح أحد سدنة هذه اللغة الخالدة وهو الأستاذ الدكتور معيض العوفي وهو عالم يمتاز، إلى إحاطته بدقائق النحو والصرف، بدقته الشديدة وسعة اطلاعه على المصادر النحوية والتصريفية. ولم يكتف الأستاذ بتحقيق الكتاب تحقيقًا يخرجه على الصورة التي أرادها المؤلف بل أدرك أن هذا الشرح خزانة مغلقة فقدم لها بدراسة تعرف بها، وعمد إلى النص

* صحيفة اليوم ١٧ صفر ١٤٢١هـ عدد١٠١٩٢.

فوثقه توثيقًا يطمئن الباحثين إلى سلامة ما أورده المؤلف من آراء المتقدمين. وهذا اللون من العمل الشاق يهمله كثير من المحققين بحجة أنه ليس من مهمات التحقيق، ولكن الحق ما صنعه الأستاذ. وإني لأرجو أن يكون في هذا المنهج مثالا يقتدي به المحققون؛ ليكون لتحقيق التراث ثمرة غير نشر الكتاب بحروف طباعية لا تغير من أمره بما ينفع الناس.

أنام ملء جفوني*

هكذا قال أبو الطيب المتنبي منذ القرن الرابع الهجري، فهل كف الناس بعد عن السهر جراها والاختصام؟ إن آخر من عرفته سهر أستاذنا الجليل الدكتور عبدالعزيز المانع أطال الله عمره ومتعه بصحته، لقد سهر عشر سنوات في سبيل التنقيب والتحقيق والنشر لكتاب من أهم ما حوته المكتبة العربية وهو كتاب (المآخذ على شراح ديوان أبي الطيب المتنبي) الذي صنفه أبو العباس أحمد بن علي بن معقل الأزدي المهلبي، أما الشراح فهم خمسة من أعلام الثقافة العربية ابن جني وأبوالعلاء المعري والواحدي والتبريزي والكندي. وابن معقل في كتابه واضح الخطة حسب ما بين المحقق في مقدمته فهو يذكر بيت المتنبي المقصود ثم يورد شرح الشارح ويتبعه بنقده مبديًا مأخذه على الشارح. وهو ربما استفاد في رده قول شارح من قول شارح آخر فيذكر قوله ويقدمه على الشرح المنقود. وقد صدر هذا العمل الجليل عن مركز الملك فيصل للبحوث والتراث والدراسات الإسلامية جزى الله القائمين عليه خير الجزاء. وفي إحدى الليالي استمعنا إلى ندوة عقدت في المركز حول الكتاب

---

* صحيفة اليوم ٣ محرم ١٤٢٣هـ عدد١٠٥٠٢.

واستمعنا من أستاذنا إلى قصته مع هذا الكتاب، والحق أني أوشكت على البكاء لما سمعته من معاناة أستاذنا المانع في رحلاته الشاقة في أنحاء الأرض بحثًا عن مخطوطات الكتاب والشروح المختلفة، وما عاناه من أجل إخراج الكتاب إخراجًا علميًّا يدعو إلى الفخر. واستمعنا في هذه الندوة لمحاضرة أستاذنا الدكتور أحمد الضبيب عرض فيها ملاحظاته القيمة على تحقيق الكتاب وهي ملاحظات جديرة بالاهتمام وتمنيت وأنا أسمعها أن لو كانت قبل نشر الكتاب ليكون نفعها أعم وأجدى؛ فالله يعلم متى يقيض لهذا الكتاب أن يعاد نشره بعد تدارك ما جد من ملاحظات. واستمتعنا أيضًا بمحاضرة أستاذنا الدكتور محمد الهدلق، وقد أجاد فأفاد في أمر الموازنة بين النقد الموجه للشروح وبيان القيمة العلمية للكتاب بعامة. وأما الدكتور عبدالعزيز المانع فقد ذكرنا بعلمائنا القدماء الذين تحملوا في العلم ما الله به عليم. وإنه لمثال للصبر والجلد على العلم دون نظر إلى حطام الدنيا، مثال خليق بشبابنا التأسي به. وما ألطف ما تراه من إهداء صدر به الكتاب (إلى روح أستاذنا عاشق التراث علامة الجزيرة الشيخ حمد الجاسر تغمده الله بواسع رحمته وأسكنه فسيح جناته). نعم لا يعرف الشوق إلا من يكابده. لمسة وفاء من رجل يحفظ للناس أقدارهم.

المطر*

عاش العربي في صحراء شاسعة تستمد حياتها من المطر الذي إذا نزل اهتزت وربت ثم ازّينت بأبها حللها فشهدت من ألوان النباتات والزهور ما يأسر النظر ويسر الخاطر. وكان له من الخطر في حياتهم ما جعله يروعهم بأشكال سحبه ومزونه، وإنه ليروّعهم ببروقه ورعده وصواعقه. وليس أدل على أثره في أنفسهم ما نجده في معجم لغتهم من ألفاظ المطر وأنواعه وألفاظ السحب المختلفة وأنواع المياه التي تتلقاها الأرض غيثًا يأخذ طرائقه ومساربه في فجوجها. وله أثر أعمق، نجده في إبدعات شعرائها. وبين يدي كتاب رائع في هذا الموضوع (المطر في الشعر الجاهلي حتى نهاية العصر الأموي) كتبته أستاذة الأدب في جامعة قطر الدكتورة سلامة السويدي. بينت الباحثة أهمية المطر في الجزيرة العربية واستسقاء العرب وما يستتبعه تحري المطر من معرفة بالأنواء وهو أمر يوضح عقلية العرب الواقعية التي لا ترد الظواهر الطبيعية إلى أسباب غامضة سحرية الطابع أو تعلقها بآلهة متعددة. وتفصل الباحثة القول في المطر وآثاره فتتحدث عن المطر والسحاب والبرق والرعد والثلج والسيل والغدير، وتنتقل إلى دراسة المطر في الشعر

* صحيفة اليوم ١٥ صفر ١٤٢٣هـ عدد١٠٥٤٤.

لتبين كيف استفاد الشاعر من ذلك في تصوير حياة الإنسان وفي وصف المرأة كوصف بياض أسنانها بالبرد، وفي تصوير الممدوح الذي يضارع المطر جودًا أو يضارعه المطر، وهو أمر استمر في الشعر العربي حتى وجدنا البحتري في العصر العباسي يوجه الخطاب للغيث:

أقل وأكثر لست تبلغ غاية ** تجود بها حتى تضارع هيثما**

واستفاد الشاعر الجاهلي من الحديث عن المطر في تصوير أطلال المحبوبة وأثره في هذه الأطلال، وأثره في حيوانات الصحراء. وتوغلت الباحثة في حديث تخصصي يجلي الصور الفنية في ذلك الشعر لتصف لنا مصادر التشبيه في شعر المطر وتبين أن المطر نفسه مصدر من مصادر التشبيه في الموضوعات الشعرية، ويتصل بهذا الموضوع حديث عن الصور الاستعارية التي هي لون خاص من ألوان التشبيه فبحثت في خصائصها ووظيفتها، منتهية إلى جملة من الصور المركبة التي تصور تعقد أنماط الحياة نفسها. وأهمية الكتاب بالغة ولا يدرك ما فيه من قيمة الطرح وعمق البحث إلا بالاستمتاع بقراءته. ونحن نجد أثر المطر في تسمية الناس اليوم؛ فمن أسمائهم: مطر، ومطير، وغيث، ورعد، ونهر، وهذلول، ومزنة، وهتان، وهتون، وديمة، ووابل، وغدير. ومن أعجب الأسماء فلاج (أي ثلاج) وقد سمي بسبب نزول ثلج.

الشماسيّة*

في سنة الجوع تنكّر مجموعة من الشباب وصلّوا عشاءً في إحدى الليالي خلف محمد بن مطير المطرود، وكان كريمًا، فلمّا سلّم وفرغ من السنة لاحظ هؤلاء المتنكرين فظنهم طرقيّة فدعاهم فقلطوا عنده، وقدم لهم تميرات وماء، فأكلوها بنواها وخرجوا. وفي الصباح قال له أحد الجيران: ضيوفك البارح من الجماعة. فقال: حنا اندور الاجر وحصّلناه يا ولدي.

هذه قصة من قصص يضمها كتاب (الشماسية) الذي أعده الأستاذ الدكتور عبدالله بن ناصر الوليعي. وهو كتاب يزوي لك كثيرًا من أحوال محافظة الشماسة قديمًا وحديثًا، وهو يبين لك بجلاء أن هذه النهضة الحديثة إنما خلفت سنوات من الكفاح والمعاناة تكشفه أمثال تلك القصة التي أوردناها. وهذه القصة لها ما يشابهها في ربوع بلادنا، ولكنها تحتاج إلى التقييد الذي يضع بين القارئ صورة صحيحة عن ماضي البلاد وأحوالها وهو أمر تجهله الأجيال اللاحقة. وإن من شأن إدراك ذلك أن يدعو إلى الاعتزاز بأجدادنا لما صبروا، والمحافظة على المكتسبات والعمل على استمرارها؛ لأن النعم

* صحيفة اليوم ١٩ جمادى الآخرة ١٤٢٢هـ عدد١٠٣١١.

زوالة. وهذا الكتاب كان ثمرة جهد جماعي لأهل هـــذه المحافظـــة. وهو ذو غرض خيري إذ طبعه المهندس صالح بن محمد المطـــرود وفاعل خير. أما ريع الكتاب فهو للجمعية الخيرية بالمحافظـــة. إنـــه مثال للعمل العلمي التوثيقي الهادف للخير إعدادًا وتـــسويقًا، وإنـــي لأرجو أن يحتذى.

الفساد والإفساد*

إنه ليملأ الفخر نفسك وتحس بالبهجة ما دخلت صرحًا من صروح التعليم أو مستشفى شيد على الطريقة الحديثة أو تجولت في مصلحة حكومية، وإنك لتنتقل إلى المتنزهات في المصايف وتنتقل عبر المطارات وتتجول في الأسواق وتحس بثمرة النهضة الحديثة التي نهضتها بلادنا؛ ولكن الذي ينغص عليك أمرك ويبعث الضيق في نفسك أن تصادف من يشوه محاسن تلك المنجزات ويفسد متعمدًا أو جاهلا بعض مرافقها أو ما يتصل بها وكأن هذه المنجزات ليست له ولولده من بعده، وكأنما هذه المنجزات لم تشيد بمال الأمة وثروتها المشتركة. مثل هذا يصادفه كل من يغار على المال العام ولديه الحس الوطني الصادق. وإن من هؤلاء الغيورين الشيخ الداعية صالح بن محمد العليوي الذي دفعته غيرته إلى كتابة رسالة موجزة عن (الفساد والإفساد) وهو يحاول فيها استنهاض الوازع الديني الذي يتسم به أهل هذه البلاد إن شاء الله، فبين بجلاء ذم الفساد في القرآن والسنة وفي أقوال المتقدمين، ثم أشار إلى ما يلاحظ من إفساد للمنشآت والمرافق، ثم بين أن الواجب يدعو إلى

* صحيفة اليوم ٥ جمادى الآخرة ١٤٢٢هـ عدد١٠٢٩٧.

المحافظة على تلك المنشآت بمكافحة المعتدين ودفع اعتـــدائهم بكـــل الوسائل الكفيلة بدفع أذاهم ابتداء من المناصحة والتوعية الجادة فـــي الأسرة والمدرسة، والتنبيه إلى أن هذه الأشياء ملكية مـــشتركة، ثـــم الانتقال إلى العقاب لمن لا تردعه الكلمة الرفيقة ولا تنبهه الملاحظة الصادقة. والعقاب منه مالي ومنه بدني حسب ما يراه ولي الأمـــر. وإن الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن.

المروءة

لا تفتأ الباحثة القطرية المبدعة الدكتورة سلامة السويدي تتحفنا بأعمال علمية رائعة، والباحثة من أناس قلائل وهبوا أنفسهم للبحث الجاد والعمل بصمت لا يرجون من عملهم سوى خدمة العربية والتراث، ومن أعمالها الجليلة كتاب (مرءاة المروءات) لأبي منصور الثعالبي، وهو كتاب تراثي له على اختصاره الشديد صفة الموسوعية وهي صفة اتسمت بها مصنفات الثعالبي.

ولشرح المقصود بالمروءة يحسن بنا أن نذكر بلفظ أعجمي كثر تداوله بين الناس وهو '(الإتكيت) وهذا لا يعني بحال تطابق المراد باللفظين ولكن الأشياء بالأشياء تذكر والهدف التقريب. فإذا أنت قرأت كتاب الثعالبي هذا رأيت أنه يفصل لك تفصيلا عجيبًا ما لعلك تدركه من مفهوم (الإتكيت). وقد توقفت الباحثة عند هذا اللفظ في مقدمة تحقيقها الكتاب فأشارت إلى بداية استعمال اللفظ (مروءة) بداية بسيطة في حضن التواضع اللغوي المبكر ثم كيف تراكمت المعرفة التراثية التي هي صدًى لحضارات متتابعة ولمدنيات متداخلة أفضت إلى إغناء اللفظ بما جعله جديرًا أن يحتل فصولا من كتب بل آل أمره إلى أن يستبد بكتاب كامل يفصل معانيه بعد أن صار مروءات

لتعدد جوانبه وتلون مراميه وأغراضه.

ولعل إطافة بمحتويات الكتاب تعطينا لمحة عن مضامينه وإن لم تغن عن قراءته قراءة تمعن.

جعل الكتاب في خمسة عشر بابًا، تلمس الباب الأول والثاني معنى اللفظ مقتبسًا من القرآن والسنة، فهما أعلى ما يقتبس منه، وجعل الفصل الثالث لمروءة الملوك وغرر كلامهم، أما الرابع فلمروءة الوزراء والرؤساء وغرر كلامهم، ويلاحظ هنا التدرج في المقام وهو الملائم للمروءة التي هو بصدد تفصيلها. أما الخامس فتناول في فصول متعددة ما يخص الطعام والإطعام من مروءة تنظيفه وإحسان طبخه والأكل مع الملوك وأدبه والضيافة، ومروءة شهر رمضان، وجعل السادس للثياب والسابع للطيب والثامن للدور (جمع دار) والتاسع للهدية. ولما كان المال مما يؤثر في المروءة فصل الباب العشر هذا الجانب، ومن العوامل المؤثرة في الرجل ومروءته النساء فهي إمّا أن تعلي من مروءة الرجل أو تهدمها وهو موضوع الباب الحادي عشر. وتناول في بقية الفصول جملة من الأمور التي تتصل بالمروءة من اقتباس الشعر، وذكر طرفا مما يكره ذكره وتتجنب تسميته. ومما تناوله مروءة السفر والكرم وجعل فصلا للتوقيعات التي تضمنت لفظ المروءة أو معناها، مثل توقيع

المنصور:"أعظم الناس مروءة أكثرهم مؤونة". وختم الكتاب بفصل عن أمور تنهى عنها المروءة. وليس من شك أن المروءة مسألة تواضع اجتماعي متغير تغير المجتمعات وما يرفد ثقافتهم من روافد تؤثر في القيم الروحية التي تسود أوساطهم وتوجه سلوكهم.

وما أحوجنا هذه الأيام إلى مراجعة ما تحلى به أجدادنا من مروءات نفتقر إليها في أيامنا هذه بين أوساط شبابنا.

وأحسب الدكتورة سلامة أحسنت بنشر هذا الكتاب كأنه تلميح لا تصريح بالعبرة المقصودة والنصيحة المبتغاة، فهو رسالة موجهة إلى مجتمعاتنا المعاصرة وإن جاءت من التراث القديم الذي هو كنوز لا تفنى .

من قضايا المجتمع

الجمعية اللغوية*

كان يوم فرح عظيم حين اجتمع اللغويون من أنحاء المملكة كلها لينتخبوا أعضاء مجلس إدارتها. لقد حق لمثل هذه الجمعية أن تنشأ منذ سنوات، ولكنها تأتي اليوم لتلبي حاجة ماسة إلى مساندة العربية في محنتها بين أبنائها اليوم وهي تلقى من انصرافهم عنها ما يضيق به الصدر. ولكن الخشية كل الخشية أن يركن مجلسها إلى الدعة وأن يكتفي بالوجاهة إن كان ثم وجاهة، ولا جدال أن التصدي لمثل هذا العمل محفوف بالمكاره؛ فهو يحتاج إلى امرئ لا تتخوف أوقاته متطلبات عيشه، ولا يتقاضاه من زمانه ما لا يمل التقاضي. ومثل هذه الجمعية هم مشترك للأمة كلها مساندتها واجب كل فرد حسب قدرته وطوقه، وليس من حدود للمساندة والمعاضدة والدعم، وأحسب أن على الموسرين واجبًا في هذا الاتجاه؛ فمن المفترض أن يكون لهذه الجمعية جهاز إداري ضخم وجهاز فني يضطلع بالمهمات العلمية التي يفترض أن تنفذها هذه الجمعية وتنهض بها. ولئن انتظر

* نشر ضمن موضوع بعنوان الجمعية اللغوية والمشلح، صحيفة اليوم ١٩ ذو الحجة ١٤٢٢هـ عدد١٠٤٨٨.

من الجامعات الدعم العلمي فإن بقية المجتمع مدعو للـــدعم المـــادي والمعنوي، وبدون هذا الدعم والمساندة لا أظن أن تقوم لهذه الجمعية قائمة. ومن المعلوم أن المجامع اللغوية شهدت أوج ازدهارها يـــوم كان لها من الدعم ما يجعلها تقوم على سوقها، ثم نراها عجزت عن النهوض بأعبائها خير النهوض يوم جفت ينابيع أرضـــها فتـــصوح نباتها. وأما العاملون من أساتذتنا في مجلس الجمعية فهم بحاجة إلى شيء من التفرغ لذلك. ولعلهم بدونه لن يتمكنوا أن يعطوا من أنفسهم ماالجمعية به جديرة. فمن المعلوم أن أعباء أساتذة الجامعة ثقيلة كل الثقل.

عبودية المرأة*

لا أشد من عبودية المرأة للمرأة. يشهد بذلك أن طائفة كبيرة من رواتب بعض الموظفات والمعلمات يذهب نهبًا للبزّاز والخياط والعطّار (بياع العطور).

لا تتزين المرأة حين تتزين للرجل بل تتزين لغيرها من النساء اللاتي يمدحن ما لبست ويحفين في السؤال من أين هذا القماش وأين كان خياطه ومن أين هذه الأصباغ وكيف الوقوع عليها. وهي تخشى أشد ما تخشى أن تقتحمها عين أنثى أو أن تزري بما ارتدته من لباس. فليست نظافة الملبس ووفاؤه بمقتضيات الحشمة بكاف عندهن، بل لابد من أن يجتمع له شرط الغلاء والجدة ومتابعة المتحكمين في لباس النساء لونًا وشكلا لأغراض تجارية في المقام الأول تسخر في سبيله المهارات الفنية. ثم تسأل المرأة نفسها أمام خزانتها المكتضة بالملابس: أشاهدن هذا الفستان عليّ مرة أم لم يشاهدنه؟

أما الأزواج فليس لهم من هذه الملابس إلا نظرة قبيل الخروج، أما سحابة يومها أو أيامها فهي مندسة في (جلابية) لا تخطئ لبسها كل حين. وعلى أي حال فكثير من الأزواج لا يريدون من زينة

---

* صحيفة اليوم ٤ رجب ١٤٢٢هـ عدد١٠٣٣٢.

المرأة ما تتكلفه عند لقاء صويحباتها، بل لسان حالهم كما قال الشاعر:

وإني لأرضى من بثينة بالذي لو ابصره الواشي لقرت بلابله

ومهما كان حظ المرأة من الثقافة والتعلم فهي مستعبدة لملابسها وزينتها. فهل تفكر النساء في الخروج من ربقة هذه العبودية؟

لست ضد تجمل المرأة وإحسان مظهرها؛ ولكني ضد الإسراف في تلبية مطالبه، والجري في دوائر مفرغة.

حياتـــنا اصطناعية

حدثني أحد الدارسين في الولايات المتحدة أن أســتاذهم قــال فــي معرض محاضرة له إن حياتنا صارت معتمدة اعتمادا مخيفا علــى الآلات، وذلك يعني أن الاضطراب سيسود وحركة الحياة سيــصيبها الركود ثم التوقف والهلاك. وليؤكد مفهومه قال لهم أما العرب فــلا مشكلة عند أحدهم فما عليه إلا أن يرفع خيمته ويعيش بهــدوء كمــا عاش أجداده. قال صاحبي فسكت ولم أبين للأســتاذ حــال العــرب اليوم، فهم في حال لا يسر بها الصديق. ولئن كان حال أولئك القوم على ما وصف الأستاذ فهم أمة علم واختراع وهم قادرون علــى أن يرأبوا ما ينصدع من أمرهم بكل جد وإصرار، وأما القوم عندنا فهم أمة تقتات على ما يرد إليها من غيرها فهي لا تمتلك من أسباب عالم الصناعة ما يصون حياتها، فهي إلى الهلاك الذي أشار إليه الأســتاذ أقرب. وتأمل حياتنا اليوم تجدها اصطناعية فالبيوت تنار بالكهربــاء التي إن انقطعت ساعة أو ساعتين وجــدت النــاس قــد ضــجروا واستبدت بهم الهواجس. أذكر أن الكهرباء انقطعت في القصيم فلــم نجد محطة وقود تسعفنا واضطررنا للتوقف حتى أصلحت الأعطال. وأصبح الناس يتنقلون بالسيارات وهجرت الدواب، بل لم تعد تراهــا

إلا في المزارع. ولو تعطلت مصادر طاقة هذه السيارات لبقي الناس في بيوتهم لا يريمون ولا يستطيعون الانتقال.

ولا تفهمن أني أدعو إلى العودة إلى حياة مضت؛ فليس هذا بقول العقل، ولا بمكنة أحد، ولكن ما أدعو إليه أن نتنبه إلى حقيقة ما نحن فيه فلا نغفل عن حالنا فعلينا أن نحتاط لأنفسنا بأن نتسلح بالعلوم وأن نتقنها الإتقان الحق ونكف عن الاعتماد على غيرنا في الآلات والبشر المهيمنين على إدارتها. ويحضرني اليوم كلمة قالها أخي الدكتور منصور الغامدي في إجابته أحد السائلين بعد محاضرته عن قاعدة بيانات أصوات العربية، سأله السائل عن جدوى هذا العمل ونحن نجد البرامج في السوق بأرخص الأثمان، فقال له: نعم تجدها فتشتري استعمالها الاستهلاكي؛ ولكنك لا تشتري أسرارها وخباياها، فعلينا أن نحرر أنفسنا من العبودية العلمية والتقنية بأن ننتجها بأنفسنا.

ولعلك تقول لي إن بلادنا قد بنيت فيها المصانع وانتشرت فيها الصناعات. فأقول: إني أرى ذلك وأعيه، ولكن من صنع تلك المصانع؟ ومن ركبها؟ ومن شغلها؟ ومن يزودها بقطع الغيار؟ إن وجود المصانع والصناعات لا يعني أننا أمة صناعية. فالأمة الصناعية هي التي تمتلك أسرار الصناعة لا منتجاتها وألعابها.

أعراس صفوى*

يحق لصفوى أن تتيه بنفسها. وأن تملأ الدنيا ببهجة عرسها. وما ذاك عرس بل تضامن أمة تعاهدها التوفيق أن رقت بحسها.

من يرد أن يشهد كيف يثمر التعاون وكيف تتضاعف الأفراح فليشهد مهرجان صفوى الذي ينظم كل عام لتشهده أفئدة من الناس يشاركون إخوانهم وهم يبنون بيوتًا جديدة ويؤلفون أسرًا فتية يفرحون لفرحهم ويتمنون لهم التوفيق وأن يتم الله عليهم فرحتهم بكل خير. إن من المفرح أن ينجح الناس في مهرجان الخير والعطاء،وهو مهرجان ينال المشتغلين فيه فرحة القادمين وتآلف المحبين. يضرب أهالي صفوى كل عام مثالا رائعًا لما يمكن أن يصنعه التعاون المخلص. وهو عمل خليق بأن يكون قدوة لغيرهم من الناس في المدن السعودية. فما أروع أن تنسق كل مدينة بين أفراح أبنائها وبناتها فتتضاعف الأفراح ويعم الفرح كل النفوس الرضية.

إن من الحكمة أن يكون هذا الإجراء سبيل الناس في أفراحهم؛ فهم بهذا يوفرون على أنفسهم من الوقت والمشقة شيئًا كثيرًا. ولم يبق إلا أن نهنئ المتزوجين وأن ندعو لهم بالتوفيق وأن نهمس في

* صحيفة اليوم ١ربيع الآخر ١٤٢٢هـ عدد١٠٢٣٤. و٢٢ربيع الآخر ١٤٢٢هـ عدد١٠٢٥٥.

آذانهم معلنين أنهم ينتقلون بالزواج إلى حياة المسؤولية التي لها أعباؤها. وهي حياة فيها مزيج من الفرح والمشقة وهي طبيعة الحياة بعامة. ولا بد للمتزوجين أن يتيحا لأنفسهما الفرصة الكافية لفهم الشريك وهذا يقتضي شيئًا من التنازل لابد منه.

العقد المروري

بيني وبينك عقد غير مكتوب اقتضته مواضعات المجتمع ومقتضيات السلامة. وكل ما يوصي به المرور من توجيهات أو يسن من قوانين هي في المقام الأول تهدف إلى تنظيم السير وانسيابه بما يحقق المصلحة لأصحاب المركبات ويهيئ لهم الوصول بسلامة إلى مقاصدهم بالسرعة الممكنة التي لا تجور على أحد من الناس. الإشارات الضوئية على جوانب السيارة بند في هذا العقد يوجب عليك أن تنفذه، فمتى رأيت صاحب مركبة يتقدمك عن يمينك أو شمالك أو أمامك ثم أشار فإن من اللازم أن تتيح له أن ينتقل بأمان إلى الجهة التي تدل عليه إشارته مهما كنت مستعجلا فالحق أحق أن يتبع. وإشارة المرور مهما كانت معوقة لك فهي ملزمة فعليك أن تتقيد بها وأن تصبر نفسك عليها؛ فهي تعطي فرصًا متكافئة للمركبات. ليس من حقك أن تدس أنف سيارتك بين سيارتين لأن بينهما ما يقارب نصف متر مسافة. ويقضي العقد المروري بيننا أن تصفّ مركبتك في مكان صحيح آمن؛ إذ لا يجوز أن تعترض بها طريقًا أو تقفها خلف مركبة أخرى فتمنعها من الحركة، ولا تقفها في مكان تمنع أنظمة المرور من الوقوف فيه. ويقتضي العقد الذي بيننا أن تلتزم السير في اتجاهك فلا تنتقل انتقالا مفاجئًا من جهة إلى أخرى بانحراف سريع خاطف يربك غيرك من السائقين؛ فليس من

حقك عند الانطلاق من وقفة أمام إشارة المرور أن تعطف سـيارتك من أقصى اليمين إلى أقصى الشمال معترضًا غيرك من المنطلقـين بمركباتهم، وليس من حقك أن تتقدم على إشارة المرور ثم تغفل عن إعلانها الانطلاق حتى تنبه بالمنبهات الغاضبة، وعليـك أن تكـون جاهزا إن كنت أول المصطفين أمام الإشارة لتنطلق بها فلا تكـون سببًا في تعطيل غيرك. واعلم أن كل ما تراه حقًا لك هو حق لغيرك وأن ما تكرهه من الناس هو مكروه منك أيـضًا. واعلـم أن مـن الشوارع ما هو رئيسي وما هو فرعي وأن من الواجب أن تتمهل بل أن تقف قبل الدخول من الفرعي إلى الرئيسي، وفي الطرق مـداخل ومخارج قد حددت بأشكالها فعليك أن تدخل من المدخل وتخرج من المخرج، فإن فعلت عكسَ ذلك كنت معاندًا للعقد. ولكل طريق سرعة قصوى حددها نظام المرور وبينتها اللوحات الإرشادية، وليس لواحد منا أن يتجاوز السرعة القصوى، وليس من حقك أن تجبرني علـى التنحي عنك ما دمت أقود بالسرعة القصوى. وللطريق آداب عامـة لا تنفصل عن العقد المروري ومنها أن تكف بصرك فلا تتطلع إلى من يقف إلى جانبك، وأن تخفظ صوت المـذياع، وأن تتجنـب أي سلوك مقزز، أو تقذف بالشارع نفاية سيارتك أو ترمـي بـسيجارة، لست أشك بأنك تعلم كل هذا وأكثر منه ولكن العلم لا يبلغ مبلغه مـا لم يؤيد بالعمل الصادق المحفوف بأحِبّ لأخيك ما تحب لنفسك.

رجل مرور*

نحن على ثقة تامة أن أكثر رجال المرور عندنا يتصفون بمقتضى ما يتطلبه عملهم المتصل بالجمهور اتصالا لا يخلو من الحساسية. وهذا بلا جدال يحتاج منهم إلى تكلف الصبر وحسن تفهم أحوال قادة المركبات على اختلافها. هم في موقع المسؤولية. وهي لعمري مسؤولية ضخمة ودقيقة ولا تخلو من المنغصات والعنت والمشقة ومنها ما هو ميداني في الشوارع ومنها ما هو مكتبي وفي كل معاناة وتعب. ولكن الأمر الذي لا جدال فيه أن صاحب المركبة أيًا كان هو إنسان في المقام الأول يستحق أن تحفظ عليه كرامته وأن يعامل بمنتهى العدل؛ فإن أخطأ حوسب على خطئه وفاقًا لأنظمة السير المتواضع عليها دون خدش لإنسانيته أو جرح لكبريائه.

في شارع من الشوارع ترى سيارة مرور وقد وقفت خلفها سيارة أخرى سيارة أجرة أو ناقلة صغيرة، وفي سيارة المرور يستريح خلف المقود رجل مرور ثم تراه يؤشر بيده بصلف وكبرياء لقائد المركبة الأخرى يطلب منه أن يتقدم إليه. وإنك لترى قائد المركبة منحنيًا ليخاطب المروري ليعلم ما يريد منه أو ليستعطفه.

---

* صحيفة اليوم ١ رمضان ١٤٢٢هـ عدد١٠٣٨١.

المهم أن هذا القائد يناله الهوان بغير ذنب أتاه. وهذا أمر لا يقره دين ولا عرف، وإنما هو تعبير عن تقصير رجل المرور هذا أو كسله أو أمر آخر لا نفهمه ولعل إدارة المرور نفسها لا تفهمه. إن الحـــزم لا يتناقض والاحترام الواجب لكل إنسان مهما كان بائسًا.

توخي السلامة*

اكتب ما شئت من مقالات التأبين، أو انظم ما استطعت من قصائد الرثاء، طالب باستقالة المسؤولين ومحاسبة المتسببين، أفعل ذلك كله إن استطعت؛ ولكن اعلم أن روحًا طاهرة من أرواح بناتنا وزهرات ربيعنا لن تعود، وأن اللحوم المحترقة لن ترتد طرية غضة تتدفق فيها الحياة. فليرحم الله تلك الأرواح الطاهرة وليلهم أمهاتهن وآبائهن وذويهن الصبر والسلوان. إنه على كل شيء قدير. تكاثرت الكتابات عن كارثة المدرسة٣١ حتى صار رقمها يستدعي معكوسه ١٣وهو رقم يتشاءم منه بعض الناس؛ فهل في ذلك عبرة لمن يعتبر. والمسؤول عن ذلك إهمال عام نتصف به جميعًا. الإهمال أودى بمئات من ركاب قطار الصعيد في مصر، والإهمال يحصد أرواح أسر وشباب في الحوادث المرورية المروعة التي نشهدها كل يوم في طرقاتنا. كم موت كان ثمن إطار تالف أو تجاوز نور أحمر أو مزاحمة حمقاء أو غفلة عن مخرج من مخارج الطرق أو انتقال عشوائي أرعن.

المشكلة قابعة في أنفسنا فنحن أعداء أنفسنا؛ إذ الإحساس الفردي

* صحيفة اليوم ٢٤ محرم ١٤٢٣هـ عدد١٠٥٢٣.

يطغى على الإحساس الجمعي. وإنما يقتضى الإحساس الجمعـي أن نعتقد اعتقادًا صادقًا أننا شركاء في كل شيء وأن كل شيء في هـذه البلاد يعنينا أمره وأن كل مرفق من مرافقها هو بيت خاص لكل فرد منا علينا حمايته والتفاني في الذود عنه. أقول هذا وأنا أرى طلابنـا في الجامعات يرمون أعقاب السجائر ويطفئونها على السجاد الثمـين ولو أن أحدًا من الناس فعل هذا على مرتبة سيارته أو سجادة مجلسه لأرغى وأزبد؛ ولكنه يفعل هذا على سجادة مرفق عام لأنه لم يشعر لحظة أن هذه السجادة ملكه كما هي ملك لأبناء هذا الوطن. كم نحن بحاجة إلى أن نترفق بأنفسنا وأن نتوقى أسباب هلاكنـا. إن علـى مستأجري المرافق العامة أن يفترضوا أن أبناءهم وبناتهم سيشغلون هذه المرافق فيصيبون من خيره ويدفع الله عنهم شره، وهـو متـى تمثل هذا واستشعره توخى السلامة. ولعله آن الأوان للعمـل علـى تحقيق شروط السلامة في منازلنا الخاصة ومرافقنـا العامـة. لقـد شاهدت في برنامج عن الحرائق مشاهد مروعة وعلق معـده علـى ذلك بأن الناس يحصنون بيتهم خوفًا من اللصوص غافلين عن خطر أشد من اللصوص وهوالنار. ولعل الدفاع المدني هو المسؤول عـن تثقيف الناس في هذا المضمار والسعي لحملهم على اتخاذ التـدابير التي تكفل لهم قدرًا من السلامة.

من يردع المدخنين*

الأجساد متراصة والأعناق آخذ بعضها ببعض والمكان يكاد ينفجر بأنفاس الناس، ومع هذا كله ترى هنا وهناك من ينفث دخان سجارته كأنما وكل بإحراق نفسه وإحراق عباد الله معه من غير ذنب اقترفوه. تقبل عليه تخاطبه بود لترجوه أن يقلع عن التدخين لأن التدخين ممنوع في المطارات وغيرها من المرافق العامة فإذا به ينظر إليك من عل ويهز كتفيه بلا مبالاة، يقول التدخين ليس ممنوعًا ماداموا قد وضعوا هذه الطفايات. ومن المدخنين من لا يحلو له التدخين إلا في المصاعد وفي تجمعات البشر الضيقة ومنهم من لا يهتم بالصغير ولا الكبير ولا الطفل ولا المرأة.

لقد تفضل خادم الحرمين بإصدار مرسوم يقضي بمنع التدخين في المصالح الحكومية، وقرأت عن فكرة هدفها مجازاة من يخالف عن ذلك الأمر؛ ولكن كثيرًا من المدخنين هم من الصفاقة بحيث لا يردعهم الكلام ولا تنبههم الإشارة بل هم بحاجة إلى الحزم الرادع فالتدخين بما هو سلوك ضار على صاحبه وغير صاحبه هو جريمة بحق المجتمع لا بد من دفعها وحدّ من يمارسها.

---

* صحيفة اليوم ١٢ جمادى الآخرة ١٤٢٢هـ عدد١٠٣٠٤.

ولقد فرحت وأنا أرى ملصقات تنويرية نشرتها جمعية مكافحة التدخين وهي جمعية يكاد يجهلها كثير من المهتمين، فلعل الجمعية تنشر مع إعلاناتها أرقام هواتفها للاتصال بها، ولعلها تقبل عضوية من يريد التبرع بإرشاد المدخنين إلى تجنب التدخين في الأماكن العامة، وليكون للشخص أهمية يستحسن أن يزود ببطاقة تحمل شعار الجمعية حتى تكون له صفة تؤهله لمناصحة المدخنين.

من يفتي؟*

إنه أمر لا ينتهي منه العجب أن نسأل بسؤال كهذا؛ ولكن ما نراه من كثرة من تصدوا للإفتاء بدون علم تجعلنا نسأل. وقد أثارني وأثار غيري في قسم اللغة العربية ما وزع في مسجدنا، وهو ورقة تضم(٢٧) سطرًا وصفت بأنها من الكلمات المنهي عنها، ويقابلها العلة المفترضة في النهي عنها. وليست الورقة صادرة من مرجع موثوق به بل هي اجتهاد مجتهد. وإذا أنت تأملت في هذه الكلمات رأيت أن النهي لا ينبني على دليل نصي معتبر ولكنها مقيسة على غيرها قياسًا غير مسلم أو مقطوع به؛ لأن ذلك متعلق بالفهم اللغوي الذي هو مشترك بين الناس وأمر البتّ فيه منوط بأهل الاختصاص من اللغويين. ولعظم أمر الفتوى وجدنا السلف الصالح يتسلحون بعلوم الشريعة وعلوم العربية، فالمفتي له بصر وعلم باللغة يؤهله للفهم والصدور عن فهمه اللغوي الدقيق، وإن من الفقهاء والأصوليين من نعدّهم أئمة في النحو مثل السهيلي والقرافي وغيرهما. ولكنا نجد اليوم من توهم في نفسه الصلاح فانتدب نفسه

* صحيفة اليوم ٢٢ صفر ١٤٢٣هـ عدد١٠٥٥١.

لمهمة صعبة تنوء بثقلها الجبال.

ولعلنا نضرب أمثلة مما جاء في الصحيفة، فمن ذلك قول الناس (يا تيس- يا حمار- يا كلب...) وعلة النهي المذكورة (لأنه كذب وإيذا للمسلم، وإيذا المسلم حرام). ولا جدال أن شتيمة المسلم إيذاء فليس من خلق المسلم أن يتلفظ بذلك. ولكن الذي نتوقف فيه وصف ذلك بأنه كذب فذلك محال.؛ إذ أنواع الخطاب العربي منها إنشائي يعبر عن انفعال الإنسان، وهذا لا يوصف بالصدق أو الكذب، ومنها إخباري يصدق عليه ذلك،؛ فالشاتم لا يريد إخبار المشتوم بأنه نوع من أنواع الحيوان. والمثال الثاني (مناداة بعضهم للممرضة الكافرة بسستر) والعلة عنده: لأن معناها (أخت) والكافر ليس أخًا للمؤمن. والناهي لا يعلم أن معنى (سيستر) هو راهبة وسبب التسمية أن الراهبات اشتغلن بالتمريض فغلب الاسم على هذه المهنة. وأما الأخوة فهي في دوائر بعضها أوسع من بعض، فأبناء آدم أخوان على اختلاف دياناتهم. والمثال الثالث: قولهم للمتزوج (بالرفاء والبنين) والعلة: لأنها تهنئة أهل الجاهلية. وقد غاب عن ذهن الناهي أن لغة أهل الجاهلية هي العربية التي نزل بها القرآن وليس كل جاهلي يترك. فهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم استعمل من أقولهم (أنصر أخاك ظالما أو مظلوما) والجملة موضوع النقاش دعاء طيب لا يعيبه كونه جاهليًا حتى ينهى عنه.

اعتداء*

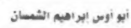
إنه اعتداء على البيئة الصحروية والبحرية. إن من حق الإنسان أن يعمر الأرض وأن ينتفع بمرافقها وبصحرئها وسواحلها. ولكن؛ أمن حقه أن يلوث بحمقه وبإهماله جوانب الصحراء أو شواطئ البحر؟ كلا؛ لا أحد يرى ذلك أو يقره؛ ولكن يقتحم عينيك كثير من مناظر الإيذاء. توقّف بسيارتك على أي طريق من الطرق السريعة وانزل إلى الأرض لترى العجب من مخلفات الناس رميت في كل مكان دون أن يأبهوا لذلك. هذا ما شهدته وأنا في طريقي من الرياض إلى الكويت مرورًا بالدمام وفي طريقي من الكويت إلى القصيم مرورًا بالزلفي، حيث توقفت في الطريق غير مرة لأمتلئ غيظًا مما شاهدت. وعلى شواطئ الكويت مشيت فرأيت ما رأيت على الصحراء. وإني لو توجهت بسؤالي إلى أي أحد عن حكم ذلك لأنكره كل الإنكار؛ ولكن المنكر نفسه ربما كان ممن قارفوا ذلك المحظور.

كثيرة هي مشكلاتنا غير أن أغلبها من صنع أنفسنا ومن أنانية تعمر نفوسنا وتستولي عليها، يعزِزه جهل مطبق بمخاطر ذلك على

* صحيفة اليوم ١ صفر ١٤٢٣هـ عدد١٠٥٣٠.

الإنسان نفسه وعلى بيئته. ليس من الممكن أن توزع على الطـرق السريعة حاويات للقمامة فهذا أمر متعذر؛ ولكن الذي يمكن هـو أن يساعد الناس بعضهم بعضًا بالصبر على حمل ما يريدون الـتخلص منه إلى أقرب حاوية في أقرب محطة أو استراحة. وهذا نداء نتوجه به إلى أنفسنا أولا وإلى كل من يقرأ ما كتبت أن نكون يدًا واحدة في سبيل بيئة أنظف. ونتوجه به إلى شـركة نـصبت نفـسها لخدمـة المسافرين وهي شركة ساسكو. فقد أنشأت هذه الشركة اسـتراحات كبيرة على الطرق الرئيسة في بلادنا وأنشأت اسـتراحات قـصيرة أيضًا. ورأى الناس هذا حسنًا وفرحوا به، لأنهم رأوه يغنـيهم عـن اللجوء إلى استراحات أو محطات أخـرى تفتقـر إلـى مقومـات الاستراحة الحقة. ولكن ساسكو للأسف الشديد لم تدرس احتياجـات المسافر دراسة حسنة؛ إذ تراها قصرت كل التقصير في بناء دورات مياه متعددة، ولذلك يتزاحم الناس على أماكن قليلة. وهي قصرت في ضمان نظافة تلك الدورات أيضًا. وكان بإمكان الـشركة أن تنـشئ دورات بأجر مناسب يكفل ريعًا يدفع للقيم عليها. ومحطـات التـي يقيمها أفراد هنا وهناك يشكو كثير منها من قلة دورات المياه ومن نظافتها أيضًا، مع أن مثل هذه المرافق مجلبة للمسافر، فهو يتوقـف كلما سافر من طريق في محطة بعينها لأنه جرب جدوى ذلك.





١٤٢٨ هـ / ٢٠٠٧م

ردمك: ٢-٤٥-٦١٩-٩٩٦٠-٩٧٨